

من المقدم والمؤخر في القرآن الكريم (بحث في المبني والمعنى)



د. راشد أحمد جراري (*)

توطئة :

قد يجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة أو تفضيل أو تشويق أو إفادة القصر أو غير ذلك . وقد ينصرف الذهن عند القول بالتقديم والتأخير إلى تلك الرتب المحفوظة نحويًا ، كالسماح بتقديم الخبر على المبتدأ على أن يظل خبراً والنية به التأخير ، وكتأخير الفاعل عن المفعول به والنية به التقديم ؛ وذلك لأن حد المبتدأ أن يكون مقدماً ، والمفعول به أن يكون مؤخراً ، وليست الرتبة مائعة من هذا التصرف ولا تمنع اللغة من التقديم والتأخير ؛ بل إن تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخيره وهو في المعنى مقدم من سنن العرب وتصرفها في كلامها ، كما قال ابن فارس (١) وكانت العرب تفعل ذلك في تراجعها بينها ومخاطبتها قبل أن ينزل القرآن الكريم (٢).

وهذا النوع من التقديم والتأخير يجمع اللغويون عليه أو يكادون . أما ما أعنيه بالمقدم والمؤخر فهو أن يؤدي ظاهر التركيب بهيئته التي ورد عليها إلى

(*) كلية دار العلوم - القاهرة - كلية التربية الأساسية - الكويت

إشكال معنوي أو قاعدي ، فيكون القول بالتقديم والتأخير — عند من يقول به — وجهاً من وجوه التأويل ليتسق اللفظ مع معناه ؛ فليس هو ذلك النوع الذي يكون سبيلاً إلى إصلاح اللفظ بقدر ما يكون منصرفاً إلى تقويم المعنى ، أو إضافة وجه آخر من المعاني يحتملها التركيب .

وهو في كلام العرب شعرهم ونثرهم كثير — كما قال الأخفش — يكتب الرجل : أما بعد : حفظك الله وعافاك ، فإني كتبت إليك . فقوله : فإني ، محمول على : أما بعد ، إنما هو : أما بعد فإني ، وبينهما — كما ترى — كلام . ومنه في الشعر قوله :

خير من القوم العصاة أميرهم يا قوم فاستحيوا النساء الجلّس

والمعنى : خير من القوم العصاة أميرهم النساء الجلّس يا قوم فاستحيوا . وقول الآخر :

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

ومعناه : الشمس طالعة لم تكسف نجوم الليل والقمر لحزنها على عمر ، وذلك أن الشمس كلما طلعت كسفت القمر والنجوم فلم تترك لها ضوءاً (٣) . وقول الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين

والمعنى : مقام الذنب اللعين كالرجل (٤) . ومنه قول الفرزدق :

إن الفرزدق صخرة ملمومة طالت فليس تنالها الأوعالا

أي : طالت الأوعالا . وقول جرير :

طافَ الخيالَ وأين منك لماما فارجع لزورك بالسلاسلما

أراد : طاف الخيال لماما وأين هو منك (٥) .

والمقدم والمؤخر بهذا المفهوم في القرآن الكريم نوعان :

■ النوع الأول : المقدم والمؤخر بحسب الترتيب الزمني ، وهو المقدم في التلاوة المؤخر في المعنى نظراً لترتيب النزول أو ترتيب الأحداث .

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (٦) (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتُمْ خَلَقْتُمْ هَؤُلَاءِ فَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) . قيل : هو مقدم في التلاوة ، مؤخر في المعنى على قوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) لأن أمر موسى لقومه بأن يذبحوا بقرة كان في الترتيب الزمني بعد قصة القتل المذكورة في الآية الثانية.

قال الشوكاني (٧) : ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها ، فكان الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ، ثم وقع ما وقع من أمر القتل فأمره أن يضربوه ببعضها ، ثم علق بقوله: هذا على فرض أن الواو تقتضي الترتيب، وقد تقرر في علم العربية أنها لمجرد الجمع من دون ترتيب ولا معية.

وقال القرطبي (٨) : قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبَحُوا بَقَرَةً) مقدم في التلاوة ، وقوله (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا) مقدم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة. ويجوز أن يكون قوله: (قَتَلْتُمْ) في النزول مقدماً، والأمر بالذبح مؤخراً. ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها، فكان الله

أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع في أمر القتل، فأمرُوا أن يضربوه ببعضها، ويكون قوله (وإذ قتلتم) مقدماً في المعنى علي القول الأول حسب ما ذكرنا، لأن الواو لا توجب الترتيب.

ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد ذكر الطوفان وانقضائه في قوله: (٩) (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) . فنكر إهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه بقوله: (١٠) (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) . فنكر الركوب متأخراً في الخطاب، ومعلوم أن ركوبهم كان قبل الهلاك (١١) .

وأما النوع الثاني فليس فيه ذلك الترتيب الزمني ولكن التركيب بترتيبه الظاهر قد يشكل أو يوقع في لبس فيكون القول بالتقديم والتأخير ضرباً من ضروب تأويل اللفظ وحمله على غير ظاهره ، ليستقيم المعنى - من وجهة نظر القائل به - أو ينتظم التركيب مع القاعدة أو هما معاً . وقد تكلم بعض السلف فيه واجتهدوا في تفسير المعنى في بعض الآيات عليه ، كعلي بن أبي طالب وابن عباس والضحاك وعكرمة والسدي وقتادة والفراء وغيرهم (١٢) . فقد ورد عن ابن عباس في قوله تعالى (١٣) : (فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً) أنه قال: إنهم إذ رأوا الله فقد رأوه ، وإنما : قالوا جهرة أَرَنَا الله، قال: هو مقدم ومؤخر. وقال الطبري : يعني أن سؤالهم كان جهرة . فعلى هذا فإن قوله : جهرة يحتمل أن يكون معمولاً لـ (أَرَنَا) ، أو معمولاً لـ (قالوا) ، فيحتمل أنهم قالوا جهرة كما يقول ابن عباس، والمعنى الثاني قالوا: أَرَنَا الله جهرة أي : عياناً ؛ كما قال غيره (١٤) .

ومنه ما ورد عن عكرمة والسدي في قوله تعالى (١٥) : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) . حيث جعل قوله (يَوْمَ الْحِسَابِ) ظرفاً لقوله (لَهُمْ) على التقديم والتأخير والمعنى : لهم عذاب شديد يوم الحساب بسبب نسيانهم ، وهو تركهم القضاء بالعدل (١٦) .

ومنه تأويل قتادة والفراء قوله تعالى (١٧) : (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ) على التقديم والتأخير والمعنى : فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة ، كما في قوله تعالى (١٨) (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) أي : ليس ينفعه ذكره ولا ندامته . (١٩) وقوله تعالى (٢٠) (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاسُتُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) (٢١) .

أما النوع الأول فمحله علوم القرآن فتعلقه به التصق ؛ ولأن التركيب لا يتأثر به في بيان المعنى وإن كان له أثره في علوم الآية التي تأتي بعد بيان معانيها ؛ فهو من مباحث علوم القرآن العقلية .

بخلاف النوع الثاني الذي يشمل نظم الكلام وتركيبه وتعلق بعضه ببعضه الآخر ولذا فإن ارتباطه وثيق ببيان المعاني . وهو موضع الدراسة ومحل البحث .

وإذا تبين أن حمل الكلام على التقديم والتأخير في القرآن الكريم كان لدفع إشكال في القاعدة أو لبس في المعنى أو ضعف فيه ؛ فإن المصير إليه لا يكون ابتداء ؛ فالأولى حمل الكلام على ظاهره (٢٢) ، وإنما ينبغي أن يكون

القول به إذا لم يتسن حمل التركيب على ترتيبه الظاهر وكان مع القول بالتقديم والتأخير قرينة تسانده . ولذا فإن دراسة هذه المواضع في القرآن الكريم تتطلب بحث دواعي القول بالتقديم والتأخير ومدى توافقه مع النسق القرآني . وتأتي في ثلاث مجموعات :

- الأولى : ما قيل فيه بالتقديم والتأخير نظراً إلى المعنى .
- الثانية : ما قيل فيه بالتقديم والتأخير نظراً إلى القاعدة النحوية .
- الثالثة : ما قيل فيه بالتقديم والتأخير نظراً إليهما معاً .

وعلى الله قصد السبيل

أولاً : ما قيل فيه بالتقديم والتأخير نظراً إلى المعنى

- ومنه قوله تعالى (٢٣) : (وَاتَّبِعُوا مَا نُنَزِّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

فقوله تعالى : (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) من حيث ظاهر نسق الآية معطوف على (السحر) فتكون (ما) موصولة محلها النصب والتقدير : يعلمون الناس السحر والمنزل على الملكين . وقد تكون موصولة محلها النصب ولكن عطفاً على (مَا نُنَزِّلُ الشَّيَاطِينُ) والتقدير : واتبعوا ما تنزلو

الشياطين والمنزل على الملكين ، وما بينهما كلام معترض (٢٤). وعلى هذا المعنى فإن الملكين أنزل عليهما سحر ، قال الفراء (٢٥): فيتعلمون من الملكين كلاماً إذا قيل أخذ به الرجل عن امرأته ، ومن قول الملكين إذا تُعلم ذلك منهما: لا تكفر . أو أنزل عليهما وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه . ففي المعنى ما لا يليق بالملكين (٢٦) ، فكانت التأويلات ومنها :

■ أن يكون المراد : واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين أي معهما وعلى السننهما كما في قوله تعالى (٢٧): رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) أي : معهم وعلى السننهم .

■ أن يكون (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) من قول هاروت وماروت وليس ملكين كما يقول الضال الغاوي : أنا في ضلال فلا ترد ما أنا فيه مقراً بالذنب وهو يأتيه.

■ أن يكون الكلام على التقديم والتأخير ؛ والتقدير : واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمان الناس السحر ببابل هاروت وماروت . على أن تكون (مَا) في قوله (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) نافية والواو عاطفة ، ويكون المراد بالملكين جبريل وميكائيل ، ويكون هاروت وماروت بدلاً من الشياطين والمعنى : ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا فجاء بالجمع وإن كانا اثنين كما قال تعالى (٢٨): (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ

نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) أي : لحكم داود وسليمان . أو بدلا من الناس فهما رجلان منهم (٢٩) .

والتأويل على التقديم والتأخير هنا ، وإن كان فيه دفع لضعف المعنى ، إلا أن فيه بعدا في الترتيب وتفكيكا للكلام ، كما أن جعل هاروت وماروت بدلا من الشياطين حيث يقول قبل أن يعلم أحدا : إنما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا ، لا يتسق مع وصفهم من قبل بالكفر وإضلال الناس (٣٠) .

* * * * *

■ ومنه قوله تعالى (٣١) : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتِخَلَّوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) .

فلما كان المعنى بحسب - الترتيب الظاهر للكلام - أن الرسول وأتباعه قد بلغ بهم الضجر إلى أن قالوا (مَتَى نَصُرُ اللَّهُ) وهذه المقالة تقتضي طلب النصر واستبطاء حصوله واستطالة تأخره ؛ فبشرهم الله تعالى بقوله : (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) وهذا المعنى لا يليق بمقام الرسول المتيقن بصدق وعد الله ووعيده فكيف يقول مستبعدا أو شاكا : (مَتَى نَصُرُ اللَّهُ) ؟ ولذا ذهب فريق من المفسرين إلى القول بالتقديم والتأخير صونا للمعنى عما لا يليق بمقام الرسل ، والتقدير : حتى يقول الذين آمنوا : متى نصر الله ؟ فيقول الرسول : ألا إن نصر الله قريب . فقدم الرسول في رتبة الكلام لمكانته ، وقدم معه قول المؤمنين لتقدمه في الزمان (٣٢) .

وجلي مدى التكلف هنا في حمل الكلام على غير ترتيبه الأصلي ؛ فلا ضرورة تلجئ إلى هذا الإبعاد ، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١. يظهر أن قوله تعالى (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) من قول المؤمنين ، أما قوله (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) فمن قول الرسول (٣٣) ، والسياق كفيل برد كل من الكلامين إلى من يليق به من المذكورين ، ودلالة الحال تبين رد المقولة الأولى إلى المؤمنين ، ورد الثانية إلى الرسول .

وعروض ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى (٣٤) : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) . وتفصيل المعنى الذي يليق بالمقام أن السكن مجعول في الليل ، وابتغاء فضل الله في النهار . ومثله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَخْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
فشبه العناب بالرطب وشبه الحشف البالي باليابس .

٢. ولو كانت المقولة الأولى للرسول فليست على سبيل الشك بل على سبيل الدعاء بطلب النصر واستعجاله ، فالسؤال عن وقته بدليل قوله (متى) لا عن كونه من عدمه ، فليس فيه شيء من الشك أو الارتياب حتى يصار إلى ذلك التأويل المستبعد .

٣. وكونه رسولا ليس يمنع من أن يصيبه أذى من كيد عدوه ؛ فقد قال تعالى(٣٥) : (قَلْعَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَانِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) . وقال سبحانه (٣٦): (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا

يَقُولُونَ) وقال عز وجل (٣٧) : (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) وقال تعالى (٣٨) : (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) . وقال عز من قائل (٣٩) : (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) . فلا بأس إذا قال الرسول هذه المقالة عندما ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد تقدم وعد الله بنصره من غير تعيين وقت ، فلما كان الجواب بقربه زال ما بصدره ، فالسؤال كان عن الوقت لا عن وجود النصر ويدل له الجواب بقوله (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ولو كان السؤال عن النصر لما كان الجواب المذكور مطابقاً له .

٤ . وقد تكون الجملة الأولى من كلام المؤمنين ودخل معهم الرسول على سبيل تغليب الجمع على المفرد (٤٠) ، فجاء الجواب من الله تعالى بما سأل الرسل واستبطاه الأتباع ، فيكون قوله : (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) من كلام الله تعالى (٤١) .

٥ . ولا يمتنع أن يكون المقولتان من قول الرسول والمؤمنين معاً ؛ فهم جميعاً قالوا : متى نصر الله ؟ وهم أيضاً قالوا : أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ .

٦ . وقد يكون هذا القول لفريق من المؤمنين ؛ فكانهم لما قالوا (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) رجعوا إلى أنفسهم والتقين أن الله ناصرهم ولا يعلي عدوهم عليهم فقالوا حينئذ (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) تصبيراً لأنفسهم ثقة بوعد الله تعالى .

وبهذا يتبين أن حمل الكلام هنا على ترتيبه الأصلي ما دام ذلك غير متعذر، أولى من حمله على التقديم والتأخير مع ما فيه من تكلف وتجزئة للتركيب .

■ ومنه قوله تعالى (٤٢) : (كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَيُكَرِّىَ لِلْمُؤْمِنِينَ) .

ففي قوله تعالى (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ) ثلاثة أقوال :

الأول : أنها على الترتيب الأصلي فتكون اللام في قوله (لِيُنْذِرَ بِهِ) بمعنى (كي) متعلقة بما تعلق به خبر الكون في قوله (فَلَا يَكُنْ) وهو قوله (فِي صَدْرِكَ) والتقدير : فلا يكن حرج مستقراً في صدرك لأجل الإنذار (٤٣) . وعلى هذا التقدير يكون مرجع الضمير في قوله (منه) هو الكتاب (٤٤) ، والمعنى : لا تشكَّنْ في أن هذا القرآن من عند الله ، على تفسير الحرج بالشك . أو : لا يضيق صدرك به ، على تفسيره بالضيق (٤٥) . ويجوز أن تكون اللام بمعنى [أن] والتقدير أن تنذر به وتذكر به المؤمنين (٤٦) .

الثاني : أن قوله تعالى (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ) معترض بين العلة ومعلولها ، ومتعلق اللام قوله (أنزل) ويكون الضمير في قوله (منه) و (به) للكتاب (٤٧) وتأويل الحرج بالوجهين السابقين .

الثالث : أن الكلام على التقديم والتأخير ، وقوله (لِيُنْذِرَ) متعلق بـ (أنزل) على معنى المفعول لأجله ولكنه لم ينصب لاختلاف فاعل الإنزال وفاعل الإنذار . والتقدير : كتاب أنزل إليك لتنذر به ونكرى للمؤمنين

فلا يكن في صدرك حرج منه . وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم (٤٨).
قال الأخفش بعد أن ذكر الترتيب السابق : هكذا تأويلها على التقديم
والتأخير (٤٩). وعلى هذا التأويل يرجع الضمير في (منه) إلى
الإنذار ؛ والمعنى : أنزل إليك الكتاب لتتذرع به فلا يكن في صدرك
ضيق من الإنذار به . أو يعود على التكذيب المترتب على الإنذار به
والمعنى : فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين له .

وأرى القول بالتقديم والتأخير هنا متجهاً لعدة أمور هي :

١ . قوة معناه ؛ حيث إن الحرج ، بمعانيه المتعددة ، على هذا التأويل ليس
واقعاً على الإنزال بل على الإنذار ، وفرق ما بينهما كبير ؛ فوقوعه على
الإنزال معنى ضعيف ؛ إذ لا يتصور منه - صلى الله عليه وسلم - شك
في أن القرآن من عند الله تعالى ، أما ضيق صدره من الإنذار به أو
تكذيبهم له فأمر واقعي كما في قوله تعالى (٥٠) : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ
صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) . وقوله تعالى (٥١) : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى
إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ
إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) . وأحسب أن الحامل على القول
بالتقديم والتأخير هنا إثارة قوي المعنى على غيره .

٢ . أغنى عن الفصل بين العلة ومعلولها بجملة النهي .

٣ . أفاد تقديم جملة النهي في التلاوة - وإن كانت مؤخرة في المعنى - الاهتمام
بها ؛ إذ إن الإقدام على الإنذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل إلا عند زوال
الحرج عن الصدر ، فلهذا أمر - صلى الله عليه وسلم - بإزالة الحرج
عن الصدر أولاً ، ثم أمر بعد ذلك بالإنذار والتبليغ (٥٢).

٤. كما أفاد تأخيرها في المعنى ضم الإنذار إلى الإنزال ليكونا معاً كافيين في نفي الحرج .

* * * * *

■ ومنه قوله تعالى (٥٣) : (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) .

ففي الآية إشكال معنوي مبعثه عصمة الأنبياء - عليهم السلام - من الهم بالمعصية والقصد إليها ، وظاهر اللفظ يفيد هم يوسف بامرأة العزيز كما همت به .

فقال بعضهم : إنه على التقديم والتأخير ؛ أي : ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها . فكان الكلام تم في قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) ، وأن جواب لولا قوله (وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) . كتقديم الجواب في قول الشاعر :

فلا يدعني قوكي صريحاً لحره لنن كنت مقتولاً وتسلم عامر

والمعنى : لنن كنت مقتولاً وتسلم عامر فلا يدعني قومي (٥٤).

ومعنى الكلام أن يوسف - عليه السلام - لم يهم بها (٥٥).

وذهب بعضهم إلى التفرقة بين الهمين ؛ فامرأة العزيز همت بالمعصية وكانت مصرة ، وهم يوسف - عليه السلام - ولم يوقع ما هم به ، فبين الهمين فرق ، ومن هذا قول الشاعر :

هممتُ بهم من ثنية لؤلؤ شفت غليات الهوى من فؤاديا

فهو من حديث النفس من غير عزم على الفعل (٥٦) .

أما ما عليه جمهور المفسرين سلفهم وخلفهم فهو حمل اللفظ على معناه اللغوي ، والمراد : أنه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته ومال كل منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية ولم يكن مختاراً بدليل استعاذته بعد مراودتها إياه بقوله (٥٧) (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) . ومجرد الهم لا يناقي العصمة بل العصمة تمنع من الوقوع في المعصية ، وعلى هذا فجواب لولا محذوف أي : ولولا أن رأى برهان ربه لفعل ما هم به (٥٨) .

وهو الأولى بالقبول ، ويؤيده قوله تعالى فيما بعد (٥٩) : (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) فأكثر المفسرين على أنه من قول يوسف — عليه السلام .

أما القول بالتقديم والتأخير فضعيف من وجوه :

الأول : فهمهم المراد من عصمة أنبياء الله عليهم السلام ليس بالفهم الدقيق ؛ ولذا أوقعهم نلكم الفهم في التكلف .

الثاني : يرد ما ذهبوا إليه ما تواتر عليه مفسرو السلف والخلف .

الثالث : لا يشهد لما ذهبوا إليه لسان العرب ؛ فتقدير الكلام عندهم : ولولا أن رأى برهان ربه هم بها . قال الزجاج (٦٠) : ولو كان الكلام : ولهم بها لولا ... ، لكان بعيداً فكيف مع سقوط اللام ؟ (٦١) .

■ ومنه قوله تعالى (٦٢) : (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نُّوْبَةٍ مِنْ وَآلٍ) .

فكما يبدو من ظاهر الآية وما عليه أكثر المفسرين أن المراد بالمعقبات الملائكة (٦٣) ، كما ورد في الصحيح (٦٤) : يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر " . وقد يفهم أنهم يدفعون عنه أمر الله وهم يقدرّون على ذلك ؛ ولذا قال الفراء في حمل الكلام على التقديم والتأخير دفعاً لهذا الفهم (٦٥) : وليس يحفظ من أمره ؛ إنما هو تقديم وتأخير والله أعلم " . وهناك عدة تفسيرات :

١. ما نكره الفراء وغيره من التقديم والتأخير ، والتقدير : له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فيذبون عنه ويحرسونه (٦٦) . ويكون (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) على هذا التقدير في موضع رفع على الصفة لـ (مُعَقَّبَاتٌ) فيتعلق بمحذوف ، أي : كائنة من أمر الله .

٢. وقيل أن المراد بالحفظ هنا حفظ الأقوال وتحصيلها ، لا الحفظ بمعنى الحراسة ، فهو على حذف مضاف والتقدير : يحفظون أعماله ، فيندرج في باب قوله تعالى (٦٧): (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) والمراد : أهل القرية (٦٨) .

٣. وقيل : يحفظونه من بأس الله إذا أُنْذِبَ بالاستمهال له والاستغفار حتى يتوب ، أو يحفظونه من ملائكة العذاب ، أو من الجن (٦٩) .

٤. أن تكون [من] هنا بمعنى الباء أي : بأمر الله ؛ أي حفظهم إياه هو مما أمرهم الله به لا أنهم يقدرّون أن يدفعوا أمر الله (٧٠) والمراد : يحفظونه ذلك الحفظ بأمره وبإذنه عز وجل كما تقول للرجل : أجبنيك من دعائك إياي وبدعائك إياي . (٧١) ففيه إضمار [ذلك الحفظ] وإبقاء الخبر ، كما يكتب على الكيس : ألفان ؛ والمراد : الذي فيه ألفان (٧٢). ويؤيده قراءة علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وجعفر بن محمد : يحفظونه بأمر الله " (٧٣).

٥. ورأى بعض نحويي البصرة أن [من] بمعنى [عن] ، كقولهم : أطعمني من جوع وعن جوع ، وكساني عن عري ومن عري ، ومنه قوله تعالى (٧٤): (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ) . والمعنى : يحفظونه من عند الله لا من عند أنفسهم (٧٥).

وقد اعترض أبو حيان قول الفراء وغيره بالتقديم والتأخير بأن المعنى لا يحتاج إلى تقدير تقديم وتأخير ؛ وفصل ذلك بأن (مُعَقَّبَاتٌ) وصفت بثلاثة أوصاف :

الأول : (مَّنْ بَيَّنَّ يَدَيَّهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أي : كائنة من بين يديه ومن خلفه .

الثاني : يحفظونه أي : حافظات له .

الثالث : كونها من أمر الله .

فوصفت أولاً بالجار والمجرور ، ثم بالجملة ، ثم بالجار والمجرور .

وإذا كان قوله (مَّنْ بَيَّنَّ يَدَيَّهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) متعلقاً بقوله (يَحْفَظُونَهُ) فيكون له

(مُعَقَّبَاتٌ) صفتان فحسب هما : (مَّنْ بَيَّنَّ يَدَيَّهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) ، و (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) .

ولما كان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة أكد ، قدم الوصف بها على الوصف بالجار والمجرور . هذا موجز ما ذهب إليه أبو حيان (٧٦). ويبدو لي في قوله نظر :

■ فقلوه (مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) ليس صفة لـ (مُعَقَّبَاتٌ) ؛ وإنما متعلق بقوله (يَحْفَظُونَهُ) ؛ إذ غرض الآية أن تنبيه على قدرة الله تعالى في استواء مسرّ القول والجاهر به ، والمستخفي بالليل والسارب بالنهار بالنسبة لعلمه تعالى ، وأن له ملائكة تحفظه في كل حال ومن كل الجوانب ، فالمناسب ألا تكون صفة ، بل تتعلق بـ (يَحْفَظُونَهُ) .

■ ويرتب على ذلك أن يكون لـ (مُعَقَّبَاتٌ) صفتان — كما يرى أبو حيان — وصف بالجملة ثم بالجار والمجرور ، وليس هذا هو القياس في اجتماع الصفات بأنواعها بل القياس عند اجتماعها أن يوصف بالمفرد ثم بالجار والمجرور ثم بالجملة كما في قوله تعالى : (٧٧) (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) . ولا يكفي أن يبرر عكس الترتيب بأن الوصف بالجملة أكد من الجار والمجرور .

ولا أرى غضاضة في حمل الآية على التقديم والتأخير على أن تكون [من] بمعنى الباء ، والتقدير : له معقبات بأمر الله وإذنه يحفظونه من بين يديه ومن خلفه . وقد ذهب إليه يونس في قوله تعالى (٧٨) : (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظَرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ) (٧٩) . ويقويه أمران :

الأول : ترتيب الصفات عند اجتماعها على أحسن الأساليب ؛ بتقديم الوصف بالجار والمجرور على الوصف بالجملة ، وهو الأولى بأن يحمل عليه كتاب الله .

الثاني : قراءة علي وابن عباس وغيرهما [بأمر الله] .

* * * * *

■ وقوله تعالى (٨٠) : (وَالَّذِينَ يَنْفَعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) .

فجاءت الأفعال المسندة إلى العباد جميعها في الآيتين مضارعة ما عدا قوله (وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فجاء ماضياً ، ولذلك اختلف في تأويله : فذهب بعضهم إلى أنه استئناف على سبيل الخبر والضمير لمشركي مكة ، وإن لم يجر لهم ذكر ، حيث فرحوا بما بسط الله لهم من النعيم في الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله عليهم ، ولم يعرفوا غيرها لجهلهم ما عند الله تعالى .

وذهب الأكثرون إلى أن فيه تقديماً وتأخيراً فيكون (وَفَرَحُوا) معطوفاً على (وَيُفْسِدُونَ) في الآية قبلها ، والمعنى : وَالَّذِينَ يَنْفَعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٨١).

ويخدش القول بالتقديم والتأخير هنا أشياء :

١. اختلاف زمن الأفعال بين الاستقبال والمضي ؛ فهي قبله مستقبلة وهو

ماض ، والعطف يتطلب التوافق في الزمان .

٢. القول بالتقديم والتأخير يعني تأخير بعض أجزاء الصلة عن خبر المبتدأ ؛

فقوله (وَالَّذِينَ يَنْفَعُونَ) مبتدأ وخبره (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) وجملة

(وَقَرِّحُوا) معطوف على بعض صلة الخبر وهو قوله (وَيُفْسِدُونَ) ومع ذلك آخر عن الخبر ، ففيه فصل بين أبعاض الصلة وتجزئة للكلام .

٣. كما أن قوله (وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) عامة ، أما قوله (وَقَرِّحُوا) ففي مشركي مكة خاصة ، فبين الجمل اختلاف في العموم والخصوص . ولذلك قال الألوسي منكرًا القول بالتقديم والتأخير (٨٢) : ولا يخفى بعده ؛ للاختلاف عموماً وخصوصاً ، واستقبالاً ومضياً " .

■ وقال تعالى (٨٣): (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَثَرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) .

ذهب الفراء إلى القول بالتقديم والتأخير ، والتقدير : لكل كتاب أجل (٨٤). أي : لكل أمر كتبه الله مؤجل ووقت معلوم كقوله تعالى (٨٥): (لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) وليس الأمر على حسب إرادة الكفار واقتراحاتهم بل على حسب ما يشاؤه تعالى ويختاره (٨٦). وهو عام في كل الأشياء التي لها آجال فليس واحد منها إلا له أجل في بدنه أو خاتمته . وهذا مبني على موقف الفراء من كل شينين اجتماعاً متفقين في المعنى أو كالمتفقين أن تقدم أيهما ، قال : (٨٧) ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدمت أيهما شئت " . ولذلك فقوله : لكل أجل مؤجل ولكل مؤجل أجل والمعنى واحد . وجعل منه قوله تعالى (٨٨) : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) فلك أن تقول : قد دنا فقرب وقرب فدنا ، كما تقول : شتمني فأساء وأساء فشتمني وقال الباطل ؛ لأن الشتم والإساءة واحد (٨٩). وهو مذهب الزجاج والأنباري . قال الزجاج (٩٠) : معنى (دَنَا

فَنَلِكِي (واحد ؛ أي : قرب وزاد في القرب كما تقول : فدنا مني فلان وقرب ، ولو قلت : قرب مني ودنا جاز " . وعلى هذا تكون الفاء هنا بمعنى الواو .

وقوله تعالى (٩١) : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) والمعنى كما قال الفراء : انشق القمر واقتربت الساعة والمعنى واحد (٩٢). وقوله تعالى (٩٣) : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) فرأيه أنه من الجائز أن تريد بالحق الله تعالى ، وأن تجعل السكره هي الموت أضفتها إلى نفسها كأنك قلت : جاءت سكرة الحق بالموت ٠٠٠ ويكون الحق هو الموت أي جاءت سكرة الموت بتحقيق الموت (٩٤). فيكون من قبيل ما أضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين . ويؤيده قراءة أبي بكر الصديق وابن مسعود : وجاءت سكرة الحق بالموت (٩٥).

واعترض الفراء في تقديمه الكتاب على الأجل على معنى أن لكل مؤجل أجلا ؛ بأن هناك أشياء كتبها الله تعالى يوجد كتابها ولا أجل لها ، بل هي أزلية باقية كتنعيم أهل الجنة ، ولهذا قال ابن عطية (٩٦) : وهذا العكس غير لازم ولا وجه له ؛ إذ المعنى تام في ترتيب القرآن " . وقال أبو حيان (٩٧) : ولا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر ، وأما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب ، بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه .

■ وقال تعالى (٩٨) : (إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) .

وقال سبحانه : (٩٩) (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) .

ومراد الكافرين بمقالتهم هذه في الآيتين إنكار البعث وتكذيب الآخرة ، ولكن ظاهر اللفظ لا يعطي هذا المعنى ؛ إذ كيف يقولون (نَمُوتُ وَنَحْيَا) وهم مكذبون بالبعث منكرون لليوم الآخر ؟ فقيل : المعنى : نموت ويأتي بعدنا أبنائنا فجعل فعل أبنائهم كفعلهم (١٠٠) . قال الفراء : (١٠١) وهو في العربية كثير . وقيل : المعنى : نموت حين نحن نطف ودم ثم نحيا بالأرواح . وقيل : نحن موتى قبل أن نوجد ، ثم نحيا وقت وجودنا .

ومما قيل : إن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، والمعنى : نحيا ونموت . ويؤيده أن ابن مسعود قرأها هكذا (١٠٢) .

ويبدو أن القول بالتقديم والتأخير هنا ضعيف ويترجح عليه قول الفراء ومن تبعه ، فكان الحديث هنا عن حال النوع الإنساني بجملة فتموت طائفة منه ونحيا أخرى باستمرار .

■ وقال تعالى (١٠٣) : (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) . فكيف يؤمر بالتولي عنهم أولاً ثم يؤمر بعد ذلك بأن ينظر ماذا يرجعون ؟

فذهب الأخفش إلى القول بالتقديم والتأخير ، قال متحدثاً عن التقديم والتأخير (١٠٤) : وفي كتاب الله مثل ذلك كثير قال : (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) والمعنى والله أعلم : فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم . وقال الفراء (١٠٥) : وذلك في العربية بين ، إنه استحثة فقال (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا) وعجل ثم أخر (فانظر ماذا يَرْجِعُونَ) ومعناها التقديم .

وأحسن من القول بالتقديم والتأخير ما ذهب إليه ابن عطية من إبقاء الكلام على ترتيبه واتساقه الأصلي ، وإنما المعنى أنه أمره بأن يلقي الكتاب إليهم ثم يتولى عنهم ، وفي أثناء ذلك ينظر ماذا يرجعون . قال (١٠٦) : وإنما أراد أن يكل الأمر إلى علم ما في الكتاب دون أن تكون للرسول ملازمة ولا إلحاح . وقال أبو حيان (١٠٧) : ولا ضرورة تدعو إلى التقديم والتأخير ؛ بل الظاهر أن النظر معتقب للتولي عنهم .

* * * * *

■ وقوله تعالى (١٠٨) : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) .

وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل : أمن بني إسرائيل هو أم من آل فرعون ؟

فذهب فريق منهم إلى أنه من آل فرعون ، وعلى هذا فجملة (يَكْتُمُ) في محل رفع صفة لـ (رَجُلٌ) .

وقال آخرون : هو من بني إسرائيل ومعنى الكلام : وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ . أي : لم يظهر إيمانه لآل فرعون .

ويضعف القول بالتقديم والتأخير وما يترتب عليه من معنى هنا عدة أمور هي :

الأول : أن الفعل [يَكْتُمُ] يتعدى لاثنتين بنفسه فيقال : كتمه كذا ولا يقال : كتم منه كذا ، ومنه في القرآن قوله تعالى (١٠٩) : (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) . وقول الشاعر (١١٠) :

كُتِمَتْكَ لَيْلًا بِالْجُمُومِينَ سَاهِرًا وَهَمِينَ هَمًا مُسْتَكْنًا وَظَاهِرًا

أحاديث نفس تشتكي ما يرببها وورد هموم لن يجدن مصادرا

الثاني : يشهد الحال بأن فرعون لم يكن ليحتمل أن يصدر هذا القول من واحد من بني إسرائيل .

الثالث : وحتى لو كان الرجل من غير القبط وكان في الظاهر على دين فرعون ومن أتباعه فإنه يُعدُّ من آل فرعون ، كما قال أراكة الثقيي يرثي أخاه ويتعزى برسول الله - صلى الله عليه وسلم :

فَلَا تَبْكُ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجْنَهُ عَلِي وَعَبَّاسُ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

وهو يريد المسلمين لأنهم كانوا في طاعة أبي بكر الصديق (١١١).

* * * * *

■ وقوله تعالى (١١٢) : (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) .

فذكر سبحانه في هذه الآية النوم بالليل والنهار ، ثم ذكر الابتغاء من فضل الله بعدهما ؛ مما يدل على أنه فيهما معاً ، والعادة أن النوم بالليل وابتغاء الفضل في النهار . ولذلك ذهب بعضهم إلى القول بالتقديم والتأخير ؛ والتقدير : ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله في النهار (١١٣) ، فيرتب النوم لليل وابتغاء الفضل للنهار ، ويشهد له سائر الآيات التي وردت في هذا المعنى ، ومنها قوله تعالى (١١٤) : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) وقوله تعالى (١١٥) : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) وقوله تعالى (١١٦) : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ

وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ (وقوله تعالى (١١٧)) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (وقوله تعالى (١١٨) : (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) وقوله تعالى (١١٩) : (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) وقوله تعالى (١٢٠) : (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) وقوله تعالى (١٢١) : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) .

ففي الآيات السكن والنوم بالليل حيث تحل الظلمة ، والنشور والكسب وابتغاء الفضل بالنهار الذي يُبصر فيه .

والقول بالتقديم والتأخير - على وجاهته - لا تدعو حاجة إليه :

- إذ يحتمل أن يكون المقصود حصول النوم وابتغاء الفضل من مجموعهما كما في قوله تعالى (١٢٢) : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) والحديث عن الماء العذب الفرات والملح الأجاج واللؤلؤ إنما يستخرج من الملح دون العذب .

- كما أن الواقع يشهد أن النوم كما يكون بالليل يكون أيضاً بالنهار وإن كان الأقل ، وأن ابتغاء الفضل كما هو بالنهار فقد يكون بالليل وإن كان الأقل ، فهما آيتان تحدثان في الليل والنهار ، فكل واحد منهما يكون فيه ذلك .

- ونظم الآية يوحى بأن المراد هو ذكر نعمتي النوم وابتغاء فضل الله ، وليس المراد ذكر كونهما في ليل أو نهار ، فيفهم من قوله تعالى (وَابْتَغَاوْكُمْ مِّن فَضْلِهِ) بعد ذكر النوم بالليل والنهار أن ابتغاء الفضل أيضاً فيهما جميعاً (١٢٣) .

■ وقال تعالى (١٢٤) : (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

فذكر العلم ثم الإيمان والعلم يتضمن الإيمان ، ولا يوصف بعلم من لا يعلم موجبات الإيمان .

فذهب بعضهم إلى أنه من قبيل ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً وتشريفاً لأمره، فنبه على مكان الإيمان من العلم وخصه بالذكر لشرفه ، كما في قوله تعالى (١٢٥) : (فِيهِمَا فَالِكِهَةَ وَنَخْلَ وَرُمَّانَ) . فذكر النخل والرمان بعد انضوانهما في الفاكهة . وعلى هذا يكون المراد بقوله (فِي كِتَابِ اللَّهِ) : في حكم الله . أو : في علمه وقضائه .

وقيل في الآية تقديم وتأخير . وهو على وجهين :

الأول : أن يكون المعنى : وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ . قال ابن عطية (١٢٦) : ولا يحتاج إلى هذا بل ذكر العلم يتضمن الإيمان .

الثاني : على معنى : وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ . وعزي هذا القول إلى مقاتل وقاتادة والسدي (١٢٧) . وعلى هذا يكون المراد بقوله (فِي كِتَابِ اللَّهِ) بالقرآن الكريم ، فتكون في بمعنى الباء . يعني الذين يعلمون كتاب الله وقرؤوا قوله تعالى (١٢٨) : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) .

وأنكر هذا القول أبو حيان فقال (١٢٩) : ولعل هذا القول لا يصح عن قتادة؛ فإن فيه تفكيكا للنظم لا يسوغ في كلام غير فصيح فكيف يسوغ في كلام الله ؟ وكان قتادة موصوفاً بعلم العربية فلا يصدر عنه مثل هذا القول .

واستبعده الألوسي فقال (١٣٠) : وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم - وفيه من البعد ما فيه - أن الكلام على التقديم والتأخير والأصل : وَقَالَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ . وأرى لهما الحق فيما قالاه .

■ وقال تعالى (١٣١) : (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

فالابتلاء - في الظاهر - يكون بالخير والشر والتكاليف ، ولفظه هنا مقدم مع أنه لا يكون إلا بعد تمام الخلقة . ف قيل إنه حال من فاعل (خَلَقْنَا) أي : مريدين ابتلاءه (١٣٢) . وفسر الابتلاء على أنه نقل من حال إلى حال فسمي ابتلاء على سبيل الاستعارة (١٣٣) . وذهب بعضهم إلى أنه حال من الإنسان ولكن على التقديم والتأخير (١٣٤) ، قال الفراء (١٣٥) : وقوله : (نَبْتَلِيهِ) والمعنى والله أعلم : جَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِنَبْتَلِيهِ ، فهذه مقنمة معناها التأخير إنما المعنى : خَلَقْنَاهُ وجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِنَبْتَلِيهِ . ولكن الزمخشري وصف القول بالتقديم والتأخير هنا بالتعسف (١٣٦) ويبدو أنه ليس كذلك ؛ فالابتلاء في أكثر ما ورد منه يراد به الابتلاء بالخير والشر والتكاليف وهو لا يستقيم إلا بعد أن تتم خلقة الإنسان وتكمل مقتضيات التكليف من سمع وبصر وغيرها ، ولذلك فلقول بالتقديم والتأخير وجه .

ثانياً : ما قيل فيه بالتقديم والتأخير نظراً إلى القاعدة النحوية

■ ومنه قوله تعالى : (١٣٧) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَنتُمْ وَآلُكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا سَوَاءٌ لِّغُلَامٍ مِّنكُم مَّا عَلَّمْتُهُ لَعَلَّهُ يَتَّقِيَ اللَّهََ وَرَسُولَهُ وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِى الْإِسْلَامِ الَّذِى كَرَّمَ وَجْهَكَ إِنَّ اللَّهََ يَخْتَارُ الْمُحْسِنِينَ لِيُعْلَمَ لَهُمْ هُدًى وَنَجَاتٌ مِّنَ الظُّلُمَاتِ الَّتِى لَا تُخْرِجُونَ .

فالكاف في (كما أرسلنا) إما للتشبيه فتكون نعتاً لمصدر محذوف ؛ وإما للتعليل . وقد اختلف النحويون في متعلقها إذا كان معناها التشبيه على خمسة أقوال :

١ . أنها تتعلق بقوله (ولأتم) والتقدير : ولأتم نعمتي عليكم إتماماً مثل إتمام إرسال الرسول (١٣٨).

٢ . أنه متعلق بقوله (تهتدون) والتقدير : تهتدون اهتداء مثل إرسالنا فيكم رسولا .

٣ . وقيل : متعلق بقوله تعالى في آية سابقة (١٣٩) : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) . ولا يخفى ضعفه لطول الفصل الذي يشي بالانقطاع بين الموضعين .

٤ . ويحتمل الكاف النصب على الحال أي : ولأتم نعمتي عليكم في هذه الحال أي : ولأتم نعمتي مشبهة إرسالنا فيكم رسولا ، أي مشبهة نعمة الإرسال ، فيكون على حذف مضاف ، وهنا تتعلق الكاف بمحذوف .

٥. أنها متعلقة بما بعدها وهو قوله (فانكروني) ، فيكون على التقديم والتأخير (١٤٠)، والتقدير : فانكروني كما نكرتكم بإرسال الرسل فانكروني بالطاعة أنكركم بالثواب (١٤١). ففيه مصدر محذوف ومضاف محذوف . قال الفراء (١٤٢): قوله : (كما أرسلنا فيكم) ، جواب لقوله : (فانكروني أنكركم كما أرسلنا) ، فهذا جواب مقدم ومؤخر . يريد أن قوله (كما أرسلنا) مقدم في اللفظ ولكنه مؤخر في المعنى (١٤٣).

ويخشى حمل الكلام على التقديم والتأخير هنا عدم إجماعهم على عمل فاء الجزاء فيما قبلها ، وأن الأمر إذا كان له جواب فلا تعلق له بما قبله لاشتغاله بجوابه ، وقوله (فانكروني) أجيب بقوله (أنكركم) فلا يتعلق بما قبله ، وإن كان جائزاً على شرط تشبيهه بالشرط الذي يكون له جوابان ، كما تقول : إذا جاءك فلان فأحسن إليه يطعك . فيكون (كما) و (أنكركم) جوابين لقوله (فانكروني) ، فهو وجه ضعيف ، ومن الأولى صون القرآن أن يحمل على الوجوه الضعيفة .

وقد تكون الكاف للتعليل فتتعلق بما بعدها على التقديم والتأخير ، قال الأخفش (١٤٤) : أي لأجل إرسالي فيكم رسولا فانكروني . ومعنى التعليل في الكاف جائز سواء كانت مكفوفة بما كما حكى سيبويه (١٤٥) : كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه . ومنه قوله تعالى (١٤٦): (وَاتَّكِرُواْ كَمَا هَذَا كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الضَّالِّينَ) ، أو كانت مجردة منها . قال ابن هشام (١٤٧) : وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بما ... والحق جوازه في المجردة من ما نحو (١٤٨) : (وَيَكَاذِبُ لَئِيْلُ الْكَافِرُونَ) وفي المقرونة بما الزائدة ... وبما المصدرية نحو : كَمَا أَرْسَلْنَا ... الآية . وقال السمين الحلبي (١٤٩) : وكون

الكاف للتعليل واضح وجعل منه بعضهم : واذكروه كما هداكم (١٥٠) . وقول الآخر (١٥١):

لا تشتم الناس كما لا تشتم

أي : لا تشتم لامتناع الناس من شتمك .

والرأي عندي حمل الكلام على التقديم والتأخير ولكن على معنى التعليل في الكاف لا التشبيه ؛ لجواز أن تكون الكاف للتعليل ، وإن أثبتته قوم ونفاه الأكثرين ، كما قال ابن هشام (١٥٢) ، ولخلو الحمل على معنى التعليل مما ذكر من الضعف إذا حملت على معنى التشبيه .

* * * * *

■ ومنه قوله تعالى(١٥٣) : (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) .

فقد اختلف الناس في موضع جملة التشبيه (كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) على أقوال ؛ ومن ثم احتمل الكلام أن يكون على ترتيبه الأصلي ، وأن يكون فيه اعتراض ، وأن يكون على التقديم والتأخير . أما الأقوال فهي :

الأول : أنها في محل نصب على الحال من الضمير في قوله (لَيَقُولُنَّ) ، كقولك : مررت بزيد وكان لم يكن بينك وبينه معرفة فضلاً عن مودة . وترتيب الكلام على أصله ، والمعنى : ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطل قول من لا تكون بينه وبينكم مودة ، كأنه لم يعاقدكم على الإيمان ولم يظهر لكم مودة على حال : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً . فهو يتمنى الغنيمة دون شهود حرب (١٥٤).

الثاني : لا محل لها من الإعراب لأنها جملة معترضة على وجهين :

١. بين الشرط وهو قوله تعالى في الآية قبلها (١٥٥) : (وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئِنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا) وبين القسم في هذه الآية وهو قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ) . والتقدير : وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئِنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا . قال الزجاج (١٥٦) : قوله : (كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) مؤخر ، وإنما موضعه : فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ . أي أن الجملة آخرت والنية بها التوسط بين جملتي الشرط والقسم ، ففي الكلام تقديم وتأخير . ويكون معنى المودة هنا : لم يعاقدكم على الإيمان . ولا يخفى ما في هذا القول من ضعف ؛ حيث فيه فصل بين أجزاء الكلام بما لا تعلق له به ظاهراً لفظاً ومعنى ؛ ولذلك قال ابن عطية (١٥٧) : وهذا ضعيف ؛ لأنه يفسد فصاحة الكلام .

٢. أنها معترضة بين القول والتمني أي بين (ليقولن) ومفعوله (ياليتني ...) وهو اعتراض بليغ بين القول ومقوله بكلام يبين قبح فعل المنافقين الذين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر ويبغون لهم الغوائل في الباطن ، وليست الجملة المعترضة متعلقة بمضمون جملة التمني فحسب ، بل بمضمون جملتي القول والتمني معاً ، فقبل ذكر تمام الكلام جاء قوله (كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) مراداً به التعجيب من فعلهم كأنه قال : انظروا إلى ما يقول هذا المنافق كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون وبينه مودة ولا

مخالطة أصلاً . ولذلك قال الرازي : (١٥٨) وهو وإن كان كلاماً واقعاً في البين على سبيل الاعتراض إلا أنه في غاية الحسن ."

وحسّن هذا الاعتراض بجملة التشبيه في أثناء الجملة الأخيرة ولم تتأخر بعدها وإن كانت من حيث المعنى مؤخرة ، شينان :

- أن معناها متعلق بمضمون الجملتين معاً ؛ فمعمول القول مقدم في المعنى.
- وكون الجملة المعترض بها ليست فاصلة ففي تقديمها وإن كانت مؤخرة في المعنى مراعاة للفاصلة ولو أخرت لم يحسن لكونها ليست فاصلة .

الثالث : أن تكون على الوجه السابق في محل نصب بـ (يقولن) على الحكاية؛ فتكون من جملة القول وهو مجموع الجملتين : جملة التشبيه : (كَان لَمْ تُكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) وجملة التمني : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) ويكون الضمير في (بينكم) لضعاف المسلمين المتخلفين عن الجهاد ، والضمير في (بينه) للرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد كانت بينهم وبين الرسول مودة حقيقية ، فحالهم حين قالوا ما قالوا شبيه بحال من لم تسبق بينه وبين مخاطبين مودة حقيقية (١٥٩).

* * * * *

- ومنه قوله تعالى (١٦٠) : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

فكلمة (الصابئون) رفعت على غير قياس القاعدة وكان حقها النصب عطفاً على (الذين) ومحلها النصب بـ [إن] . وفي رفعه على غير القياس تفسيرات هي :

١. أنه مرفوع عطفاً على (الذين) وسهله أمران :

الأول : أن (الذين) اسم مبني فرفعه ونصبه وجره في اللفظ سواء .

والثاني : أن [إن] حرف ضعيف حيث يعمل في الاسم ولا يعمل في خبره ؛ فجاز رفع (الصابئون) . وهو ما ذهب إليه الفراء ، والكسائي في قول له : (١٦١) .

٢. أنه معطوف على الضمير في (هادوا) وقد ذهب إليه الكسائي (١٦٢) . قال النحاس (١٦٣) : سمعت الزجاج يقول ، وقد ذكر له قول الكسائي والأخفش : هذا خطأ من وجهين :

أحدهما : أن المضمرة المرفوعة لا يعطف عليه حتى يؤكد .

وثانيهما : أن المعطوف شريك المعطوف عليه ، فيصير المعنى : إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية ، وهذا محال (١٦٤) .

والحق أن الأخفش لم يجر (الصابئون) على معنى الضمير في (هادوا) بل على لفظه فحسب ؛ قال : فلما كان قبله فعل شبه في اللفظ بما يجري على ما قبله ليس معناه في الفعل قبله ... وإن كان ليس عليه المعنى ، ذلك أنه يجيء أشياء في اللفظ لا تكون في المعاني (١٦٥) .

٣. أنه مرفوع على محل إن واسمها لأنه في موضع رفع في المعنى على الابتداء ، وهو قول الأخفش (١٦٦) .

٤. وذهب بعضهم إلى أن خبر إن مقدر والجملة الآتية خبر (الصابنون والنصارى) كقول الشاعر :

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفٌ

٥. وقيل : إن هنا بمعنى : نعم . فيرتفع الصابنون بالابتداء ، كما في قول قيس بن الرقيات :

بكرَ العواذلُ في الصبا ح يلمنني والومهنه
ويقلن شيبَ قذِ علا ك وقد كبرت فقلتُ إنه

أي : قلت نعم (١٦٧).

٦. أما سيبويه فقد جعله على التقديم والتأخير ؛ فتكون (الصابنون) مبتدأ محذوف الخبر ، وتقدير المعنى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى كَذَلِكَ (١٦٨) . قال سيبويه (١٦٩) : وأما قوله : والصابنون فعلى التقديم والتأخير ، كأنه ابتداء على قوله والصابنون بعدما مضى الخبر . وجعل منه قول بشر بن خازم (١٧٠) :

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

أي : وأنتم كذلك . ومثله قول ضابئ البرجمي (١٧١) :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فبني وقيارٌ بها لغريبُ

أي : فبني لغريب وقيار كذلك . وقول الآخر (١٧٢) :

ياليتني وأنت يا لميسُ ببلدٍ ليس به أنيسُ

أي : يا ليتني ببلد ليس به أنيس وأنت يا لميس كذلك . وقوله (١٧٣) :
يا ليتني وهما نخلو بمنزلة حتى يرى بعضنا بعضاً ونألف
أي : يا ليتني أخلو وهما كذلك .

ويبدو أن ما ذهب إليه سيبويه والخليل ونحاة البصرة من حمل الكلام على
التقديم والتأخير هو أيسر الأقوال وأقلها تكلفاً .

■ ومنه قوله تعالى (١٧٤) : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا
عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا
تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ) .

ففي قوله تعالى (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) إشكال نحوي يزيد ظاهر اللفظ ؛
حيث عديت صيغة فعيل [حفي] بـ [عن] وحققا أن تتعدى بالباء كما في قوله
تعالى (١٧٥) : (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) . ولذلك
يقال : حفي بي حفاوة وتحفى بي تحفياً ، وأنشد الأصمعي :

فتحفى به ووحى قراه فأتاه به غريضاً نضيقاً (١٧٦)

وتحتل صيغة فعيل هنا أن تكون بمعنى المفعول أي محفو ، وأن تكون
بمعنى فاعل أي : كأنك مبالغ في السؤال عنها ؛ وقد يجيء [حفي] وصفاً
للسؤال كما في قول الشاعر :

فلما التقينا بين السيف بيننا لسائلة عنا حفي سؤاليها

وقد يجيء وصفاً للسانك كقوله :

سؤال حفي عن أخيه كأنه بذكرته وسان أو متواسن

وجملة (كأنك حفي عنها) في محل نصب على الحال من الضمير المنصوب في قوله (يسألونك) . وهناك جملة من التأويلات هي :

١. أنه لما كان من يبالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه ، يستحكم فيه ؛ فقد عدي بـ [عن] (١٧٧) .

٢. أن قوله (كأنك حفي عنها) جملة تشبيهية معترضة لا محل لها من الإعراب حذفت صلتها ، والتقدير : يسألونك - كأنك حفي بها - عنها (١٧٨) .

٣. أن تكون عن بمعنى الباء أي : كأنك حفي بها . كما تكون الباء بمعنى عن في قوله تعالى (١٧٩) : (الرَّحْمَنُ قَاسِمٌ بِهِ خَيْرٌ) . وقوله تعالى : (١٨٠) (وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّحَابِ وَتُزَلَّلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا) . ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن عباس : يسألونك كأنك حفي بها (١٨١) .

٤. وقيل إن اللفظ ضمن معنى شيء يتعدى بـ عن ، والمعنى : كأنك كاشف بحفاوتك عنها .

٥. وذهب بعضهم إلى أن الكلام على التقديم والتأخير ؛ والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفي ، أي : معني بطلبها (١٨٢) . قال ابن عادل والسمين الحلبي عن هذا التأويل (١٨٣) : ولا حاجة إلى ذلك ؛ لأن هذه كلها متعلقات للفعل ، فإن قوله (كأنك حفي عنها) حال .

وأرى القول بالتقديم والتأخير وجهاً من التأويل سائغاً قوياً ؛ ولا يمنع القول به أن تظل متعلقات الفعل كما هي متعلقة به ، وجمل التشبيه حالاً كما كانت ، وإنما قدمت الجملة اعتناء بها فجيء بها قبل تمام الكلام إذ هي مقصود القول ؛ فقد تصوروا - مخطئين - بسؤالهم عن الساعة أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - بار بهم لطيف العشرة معهم ، فقالوا : إن بيننا وبينك قرابة فانكر لنا متى الساعة . أو : كأنك حفي في المسألة عنها والاشتغال بها حتى حصلت علمها . ولعل نظم الآية عروض قول الأعشى :

فإن تسألني عني فيا ربَّ سائل حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
والمعنى : فيا رب سائل عن الأعشى حفي به . فقدم وأخر .

■ وقوله تعالى (١٨٤) : (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ* وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَلِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) .

فلم يذكر جواب [لو] وقد اختلفوا فيه ؛ فقال بعضهم هو محذوف والتقدير : لكان هذا القرآن . والعرب كانت تحذف جواب لو إذا كان معلوماً للإيجاز كما في قول الشاعر :

وأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
وقول امرئ القيس :

فلو أنها نفسٌ تموتُ جميعاً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

والمعنى : لهان علي ذلك (١٨٥).

وذهب الفراء إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، قال (١٨٦) : وإن شئت جعلت جوابها متقدماً : وهم يكفرون — ولو نزلنا عليهم الذي سألوا ..

ومع كثرة حذف جواب لو وغيرها إذا علم إلا أن القول بالتقديم والتأخير هو الأنسب خاصة إذا كان السياق مرشداً إلى ما يتعلق به الكلام ؛ فمعنى الآية الإخبار عنهم أنهم لا يؤمنون ولو نزل قرآن تسيّر به الجبال وتقطع به الأرض ويكلم به الموتى ، وهو ما سبق في قوله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرُّحْمَنِ) . ويدل على أن هذا المعنى مراد قوله تعالى بعدها : (أَقَلَمَ يَنُاسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا) .

* * * * *

■ وقوله تعالى (١٨٧): (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

فقال سبحانه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا) ثم قال بعدها (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) وهي تتعلق بقوله (أَرْسَلْنَا) قبل إلا ؛ وصلة ما قبل إلا لا تتأخر عنها؛ لأن المستثنى منه هو مجموع ما قبل إلا مع صلته ، كما لو قيل : أرسلنا إلا رجالاً بالبينات ، فلم يذكر المجموع بتمامه فيمتنع الاستثناء .

فذهب الفراء إلى أن الكلام جملتان ؛ ففي قولك : ما ضرب زيداً إلا أخوك ، وما مر بزيد إلا أخوك . إذا قلت : ما ضرب إلا أخوك زيداً ، وما مر إلا أخوك بزيد كان الكلام جملتين ؛ والتقدير : ما ضرب إلا أخوك ضرب

زيداً، وما مر إلا أخوك مر يزيد ، فهو متعلق بمحذوف دل المنكور عليه (١٨٨) . فيكون تقدير الآية : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ . وكأنه جواب لسؤال مقدر : ولم أرسلهم ؟ فكان الجواب : (بالبينات) . وهو وصل بالاستئناف لا بالحرف وهو أقوى الوصلين قال عنه الزمخشري : وهو باب من علم البيان تتكاثر محاسنه (١٨٩).

وجعله الفراء كقول الأعشى :

وليس مجيراً أن أتى الحيّ خائفاً ولا قاتلاً إلا هو المتعيباً

فلو كان الكلام جملة واحدة لكان خطأ ؛ لأن [المتعيباً] من صلة [قاتلاً] ، ولكنه على إضمار [قاتلاً] . وقول الآخر :

نُبِّئْتُهُمْ عَذِيبُوا بِالنَّارِ جَارْتُهُمْ وَهَلْ يَعَذِّبُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّارِ

فهو على : وهل يعذب إلا الله يعذب بالنار (١٩٠).

وقد أضاف أبو حيان وجهاً آخر ؛ قال : (١٩١) : ولم يجعلوا (بالبينات) متعلقاً بقوله (وَمَا أَرْسَلْنَا) لنلا يكون [إلا] قد استتني به شيئان : أحدهما (رجلاً) والآخر (بالبينات) من غير عطف .

وذهب الأخفش إلى أنه على التقديم والتأخير ؛ والمعنى : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم بالبينات والزبر فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (١٩٢) . فقوله (بِالْبَيِّنَاتِ) متعلق بـ (نُوحِي) .

وذهب آخرون إلى القول بالتقديم والتأخير على أن يتعلق (بالبينات) بقوله (أرسلنا) في أول الآية ، والتقدير : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

ويبدو لي استحسان القول بالتقديم والتأخير (١٩٣)؛ وأما ما ذهب إليه الفراء من جعل الكلام كلامين بإضمار عامل فيمكن حمله على التقديم والتأخير أيضاً؛ فقوله :

نُبِّئْتُهُمْ عَذْبُواً بِالنَّارِ جَارَتْهُمْ وَهَلْ يَعْذِبُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّارِ

يمكن أن يقال فيه : وهل يعذب بالنار إلا الله ؟ فلا حاجة إلى تقدير عامل محذوف . وكذلك قوله :

وَلَيْسَ مَجْبِراً أَنْ أَتَى الْحَيَّ خَائِفاً وَلَا قَاتِلًا إِلَّا هُوَ الْمُتَعَبِّبُ

فغير ممتنع أن يحمل على التقديم والتأخير فيقال فيه : ولا قاتلاً المتعيب إلا هو .

وأحسن وجهي القول بالتقديم والتأخير هو ما اختاره الأخفش على تقدير : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم بالبينات والزبر . فتعلقه بـ (نوحى) أحسن من تعلقه بـ (أرسلنا) فالرسل أرسلوا ثم أوحى إليهم بالبينات والزبر ، لا أنهم أرسلوا بالبينات والزبر ، وكثيراً ما يتعلق الوحي في القرآن الكريم بالموحى به من الآيات والكتب كقوله تعالى (١٩٤) : (وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ) وقوله تعالى (١٩٥) : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ) وقوله تعالى (١٩٦) : (كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَهْلَوْاْ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) وقوله تعالى (١٩٧) : (وَأَنلِ

مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ (وقوله تعالى (١٩٨):) ائِلْ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ (وقوله تعالى (١٩٩):) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ (وقوله تعالى (٢٠٠):) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا .

■ وقوله تعالى (٢٠١): (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيمًا لِنُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) .

والقيم في وصف الكتاب معناه : المستقيم الذي لا ميل فيه . أو هو القيم المهيمن على الكتب السماوية قبله . أو القيم بمصالح العباد الدينية والدنيوية . وقال الفراء (٢٠٢) : يقال في القيم : قيم على الكتب أي أنه يصدقها .

ونصبه - بحسب الظاهر - على الحالية من (الْكِتَابِ) وفيه إشكال ؛ إذ ينتج عنه الفصل بين الحال وصاحب الحال ببعض الصلة ؛ فقوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) معطوف على قوله (أَنْزَلَ) فهو داخل في حيز الصلة فعلى جعله حالاً من (الْكِتَابِ) يكون قد فصل بين الحال (قِيمًا) وصاحبها (الْكِتَابِ) بجملة (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) وهي بعض من الصلة . ولذا فقد ذهب بعضهم إلى إضمار ناصب له والتقدير : جعله قِيمًا ، واستحسنه الزمخشري (٢٠٣) .

وقال بعضهم : بل هو حال مفرد من (الْكِتَابِ) بعد حال جملة وهي قوله؛ (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) فالواو ليست عاطفة بل هي واو الحال ؛ فلا فصل بين الحال وصاحبه ببعض الصلة .

وذهب الأكثرون إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ؛ وتقدير المعنى : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا . وهو قول الفراء (٢٠٤). وقال الطبري (٢٠٥): ولا خلاف أيضًا بين أهل العربية في أن معنى قوله (قيمًا) وإن كان مؤخرًا التقديم إلى جنب الكتاب .

ولهذا القول وجهته ؛ ففيه غنى عن تقدير ناصب مضمير يصير به الكلام جملتين ، واحتمال كون الواو عاطفة ؛ إذ كونها للحال ، لا غيرٌ ، ليس بمسلم ، فيبقى أمر الفصل محتملاً ، هذا فضلاً عن صحة معناه من غير تكلف .

■ وقوله تعالى (٢٠٦) : (وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن نُّونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) .

اختلف في إعراب (ذُرِّيَّةً) على قراءة النصب (٢٠٧) ، فقال بعضهم : النصب على النداء بتقدير حرف النداء المحذوف أي : يا ذرية من حملنا مع نوح . وهذا الوجه بدأ به أكثر المفسرين (٢٠٨)، وهو أظهر أوجه الإعراب .

وقيل هو مفعول أول للفعل (أَلَّا تَتَّخِذُوا) والمفعول الثاني (وَكِيلًا) على التقديم والتأخير ، أي : أَلَّا تَتَّخِذُوا ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ مِن نُّونِي وَكِيلًا . والوكيل من توكل إليه الأمور ، والمعنى : لا تجعلوهم أرباباً ، كما في قوله تعالى (٢٠٩) : (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) أو كفلاء بأمورهم ، أو متوكلون عليهم في أمورهم ، وقيل : شركاء (٢١٠). ويكون (وَكِيلًا) مما جاء مفرداً في اللفظ مراداً به الجمع فهو فعيل الذي يستوي فيه

المنكر والمؤنث والمفرد والجمع كما قال تعالى (٢١١): (وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا).
ويكون المقصود بالذرية على هذا المعنى جميع من في الأرض من بني آدم ؛
إذ هم من ذرية من كان في السفينة وقيل فيه منصوب على الاختصاص وقيل
على البذل .

وأحسنها النصب على النداء ليشمل بني آدم من ذرية من نجا مع نوح ،
ولمناسبة الحديث عن إنعامه تعالى عليهم بإكرام موسى - عليه السلام -
بالكتاب لهدايتهم في قوله تعالى : (وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي
إِسْرَآئِيلَ) ثم إنعامه عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق .

* * * * *

■ وقوله تعالى (٢١٢) : (وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ
مُّسَمًّى) .

فحملت الآية على التقديم والتأخير بعطف (أَجَلٌ مُّسَمًّى) على (كَلِمَةٌ) ،
إذ لا يصح عطفها على (لِزَامًا) الأقرب إليها لفظاً ، لا من حيث اللغة ولا من
حيث الدلالة ، والتقدير : وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى لَكَانَ
العذاب لِزَامًا (٢١٣) . أما الفصل بين المتعاطفين فكان لعلتين :

الأولى : للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب .

الثانية : مراعاة فواصل الآي المنتهية بالألف (٢١٤) .

ويحتمل أن يكون (لِزَامًا) مصدراً من لازم لِزَامًا وصف به ، مثل :
خاصم خصاماً ، وأن يكون وصفاً على فعال بمعنى مفعول أي ملزم فكانه آلة
للزوم لفرط لزومه ، وقيل : يحتمل أن يكون جمع لازم كقيام جمع قائم .

وأجاز الزمخشري وجهاً آخر على التقديم والتأخير وهو أن يكون (أَجَلَ مُسَمًّى) مرفوعاً عطفاً على الضمير المستتر العائد على الأخذ العاجل المدلول عليه بالسياق ، والتقدير : ولولا كلمة سبقت من ربك لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين (٢١٥) . وعليه يكون (إِزَامًا) مصدراً فحسب فيأتي مفرداً دوماً؛ إذ لو كان وصفاً على فعال لوجب أن يطابق في التثنية فيقال : لازمين . ويبدو بعد ما ذهب إليه الزمخشري ؛ للحذف أولاً ، ثم العطف على المحذوف ثانياً.

* * * * *

■ وقال تعالى(٢١٦) : (يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْئْسَ الْمَوْلَى وَلَيْئْسَ الْعَشِيرُ) . ففي اللام في قوله (لِمَنْ) إشكال إعرابي أول في أحد عشر وجهاً ؛ ثمانية أوجه على احتمال تعلق (يَدْعُو) بالكلام بعده ، وثلاثة أوجه على احتمال عدم تعلقه به .

فعلى الاحتمال الأول :

١. أن يكون (يَدْعُو) بمعنى [يقول] كما في قول عنتره :

يدعونَ عنترَ والرماحُ كأنها أشطانُ بنر في لبانِ الأدهم

وتكون اللام للابتداء و(مَنْ) موصولة محلها الرفع على الابتداء و(ضَرُّهُ) مبتدأ ثان و(أَقْرَبُ) خبره ، وخبر الموصول محذوف . قال الأخفش (٢١٧) : وأضمر الخبر كأنه : يدعو لمن ضره أقرب من نفعه إلهه ، يقول : لمن ضره أقرب من نفعه إلهه (٢١٨).

٢. أن يكون (يَدْعُو) معلقاً باللام لأنه مشبه بأفعال القلوب والجملة في محل نصب كما هي مع أفعال القلوب (٢١٩).

٣. أن يضمن (يَدْعُو) معنى [يزعم] فيعلق مثله ، والكلام فيه كسابقه (٢٢٠).

٤. أن تكون اللام معلقة لـ (يَدْعُو) على اعتبار أن جميع الأفعال - قلبية أو غير قلبية - تُعلق ، قال ابن عاشور : ويكون الفعل (يَدْعُو) معلقاً عن العمل لدخول لام الابتداء بناء على الحق من عدم اختصاص التعليق بأفعال القلوب (٢٢١).

٥. أن يكون (يَدْعُو) بمعنى [يُسمى] فتكون اللام مزيدة في المفعول الأول وهو الموصول وصلته ، والثاني محذوف تقديره : يسمى الذي ضره أقرب من نفعه إليها (٢٢٢).

٦. أن اللام مقدمة وحققها التأخير فتدخل في صلة الموصول ومعنى الكلام القسم ، والتقدير : يدعو من والله لضره أقرب من نفعه . قال الفراء (٢٢٣) : وذكر عن العرب أنهم قالوا : عندي لما غيره خير منه ، فحالوا باللام دون الرفع . وموقع اللام كان ينبغي أن يكون في (ضَرُّهُ) وفي قولك : عندي ما لغيره خير منه . فهذا وجه القراءة للاتباع .

٧. أن اللام زائدة في المفعول به وهو (مَنْ) والتقدير : يدعو من ضره أقرب من نفعه . فزيدت اللام كزيادتها في قوله تعالى (٢٢٤) : (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَيْفَ لَكُمْ) فـ (مَنْ) موصول مفعول (يَدْعُو) (٢٢٥) . قال الفراء (٢٢٦) : فجاء التفسير : يدعو من ضره أقرب من نفعه ، وقد حالت

اللام بينهما ، وكذلك هي في قراءة عبد الله : يدعو من ضره . ولم نجد العرب تقول : ضربت لأخاك ولا رأيت لزيذا أفضل منك " .

٨. أن يكون اللام حرف جر مكسور بمعنى [إلى] كقوله تعالى (٢٢٧) : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) . قال الفراء عن هذا الوجه بعد أن ذكر أنه لم يقرأ به (٢٢٨) : ولولا كراهية خلاف الآثار والاجتماع لكان وجهاً جيداً من القراءة " .

وعلى الاحتمال الثاني :

١. أن يكون (يَدْعُو) الثاني توكيداً لفظياً لـ (يَدْعُو) الأول في الآية قبلها في قوله تعالى : (٢٢٩) (يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِفْعَةَ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) ، فلا معمول له ، فكأنه قيل : يدعو يدعو من دون الله الذي لا يضره ولا ينفعه ، ويكون قوله (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) معترضاً بين المؤكد والمؤكد ، ويكون قوله (لِمَنْ ضَرُّهُ) كلاماً مستأنفاً اللام فيه للابتداء و(مَنْ) موصولة و (ضَرُّهُ) مبتدأ و(أَقْرَبُ) خبره والجملة صلة . قال أبو حيان (٢٣٠) : وأقرب التوجيهات أن يكون (يَدْعُو) توكيداً لـ (يَدْعُو) الأول واللام في (لِمَنْ) لام الابتداء والخبر الجملة التي هي خبر محذوف وجوابه (لَيْسَ الْمَوْلَى) (٢٣١) .

٢. أن يكون قوله (ذَلِكَ) موصولاً بمعنى [الذي] مبتدأ ، خبره (الضَّلَالُ) والجملة صلة وهي مع الموصول مفعول لـ (يَدْعُو) ، ويكون (لِمَنْ ضَرُّهُ) أقرب من نفعه) كلاماً مستأنفاً . وهذا التأويل مستقيم على رأي الكوفيين في إجازتهم كون أسماء الإشارة موصولة مطلقاً ، دون البصريين .

٣. أن يكون قوله (تِلْكَ) مبتدأ ، خبره (الضَّلَالُ) و (يَدْعُو) حالا والعائد منه محذوف تقديره : يدعوه . ثم يستأنف الكلام باللام تقول : (لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَنَسِ الْمَوْتَى وَلِبَنَسِ الْعَشِيرِ) قال الفراء عن هذا الوجه (٢٣٢): وهو وجه قوي في العربية " . ويقدر الفعل الواقع موقع الحال بـ [مدعوا] (٢٣٣) .

وإذا كان القول بأن اللام مقدمة وحققها التأخير قد ضعف بأن ما في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول (٢٣٤) ، وأن لام الابتداء لم يعهد فيها التقديم عن موضعها (٢٣٥) إلا أنه يبقى قولاً له ما يؤيده ؛ فمن التصرف في اللام بالتقديم قوله :

خَالِي لَأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرَ خَالِهِ يَبْلُ الْعِلَاءَ وَيُكْرِمُ الْأَخْوَالَا
والتقدير : لخالي أنت (٢٣٦) . وقول الراجز :

أُمُّ الْحَلِيسِ لِعَجُوزٍ شَهْرَبَه تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بَعْظَمَ الرَّقَبَةِ
وقول كثير (٢٣٧) :

أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كَانَ يَهْوَى لَكَ الرَّدَى وَجُنَّ اللَّوَاتِي قَلْنَ عِزَّهُ جُنَّتِ
فَهُنَّ لَأُولَى بِالْجُنُونِ وَبِالْجَفَا وَبِالسِّنَاتِ مَا حَيَّيْنِ وَحَيَّتِ
وقال القرطبي معترضاً قول من رفض أن يكون للام من التصرف ما يوجب أن يكون فيها تقديم وتأخير (٢٣٨): حق اللام التقديم وقد تؤخر .

▪ وقال تعالى (٢٣٩): (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلَيْسَتُغْفَبَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَثَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

فإلى من يرجع الضمير في قوله (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) ، إلى (فَتَيَاتِكُمْ) أم إلى (الْأَيَامَى) في الآية التي قبلها ؟ وما دلالة الشرط في قوله تعالى (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) على كلا الاحتمالين ؟

فأكثر المفسرين على أن الضمير راجع إلى (فَتَيَاتِكُمْ) ، واختلفت عباراتهم في دلالة جملة الشرط :

١. فقال جمهورهم : لأن الفتاة إذا أرادت التحصن يتصور ويمكن أن يكون سيدها مكرها إياها فيمكن أن ينهى عن الإكراه ، ولا يتصور هذا وهي غير مريدة للتحصن ، فهذا أمر في سادة وفتيات حالهم هذا (٢٤٠). والذي حملهم على هذا التأويل حصول إجماع الأمة على تحريم البغاء ولا نزاع في ذلك ، سواء كان تحريمه من هذه الآية أو بدليل آخر (٢٤١).

٢. وقال بعضهم : هذا الشرط ملغي (٢٤٢) .

٣. وذهب بعضهم إلى أنه كلام صورته صورة الشرط ولكنه ليس بشرط وإنما ذكر لعظم الإفحاش في الإكراه على ذلك . قال الكرمانى (٢٤٣) :

هذا شرط في الظاهر ولكنه ليس بشرط كقوله تعالى (٢٤٤) : (وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) ومع أنه
وإن كان لم يعلم خيراً صحت الكتابة .

٤. وقيل : إنه باعتبار ما كانوا عليه ؛ فإنهم كانوا يكرهونهن وهن يردن
التعفف وليس لتخصيص النهي بصورة إرانتهم التعفف ، قال ابن
عاشور (٢٤٥) : وأنا أقول : إن ذكر الإكراه جرى على النظر لحال
القضية التي كانت سبب النزول .

٥. وقيل : إن هذا الشرط خرج مخرج الغالب ؛ لأن الغالب أن الإكراه لا
يكون إلا عند إرادة التحصن (٢٤٦).

وأما القول الثاني فيها فإن الضمير راجع إلى (النِّسَاءِ) على التقديم
والتأخير ؛ والتقدير : وَأَنْكِحُوا النِّسَاءَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَائِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ
أَرَدَنْ تَحْصُنًا . وعزى هذا القول إلى الزجاج والحسن بن الفضل (٢٤٧).

ويبدو لي حسن القول الأول بعود الضمير في (إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنًا) إلى
(فَتُنِيَّكُمْ) لا على ما ذهب إليه الجمهور ولكن على القول بأنه ليس بشرط
وإنما ذكر لعظم الإفحاش في الإكراه على البغاء وهن مكرهات ، وتفضيله
على القول بالتقديم والتأخير ، وذلك لعدة أمور هي :

الأول : اتساق نظم الآية على الترتيب الأصلي وقرب الضمير من مرجعه .
الثاني : على القول بالتقديم والتأخير يكثر الفصل بين أجزاء الكلام ويطول مما
يجعله مفككا ذاهب الاتساق .

فكر وإبداع

الثالث : كما أن لفظ (الْيَّامَى) يعني : العزاب رجالاً كانوا أو نساء ، تزوجوا من قبل أو لم يتزوجوا (٢٤٨) ، فلو كان الضمير راجعاً إلى (الْيَّامَى) لجاء التركيب : وَأَنْكِحُوا الْيَّامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إن أرادوا تَحْصُنَا ، بتغليب المذكر على المؤنث كما هي عادة العربية عند اجتماعهما كما في قوله تعالى (٢٤٩): (وَلَوْ كُنَّا رِجَالًا مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءً مُّؤْمِنَاتٍ لَّمْ نَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطَّوُّوهُنَّ فُتُصِّبِكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةً يَغَيِّرُ عِلْمٌ). فقال (لَمْ نَعْلَمُوهُنَّ) صفة للرجال والنساء و(أَنْ تَطَّوُّوهُنَّ) بدل اشتمال منه والمعنى : لم تعرفوا أعيانهم وأنهم مؤمنون ، فغلب ضمير المذكر على المؤنث (٢٥٠).

الرابع : في إثارة كلمة (إن) على [إذا] ما يشي بأن المسافحات كن يفعلن ذلك راغبات طائعات ، وفرق ما بين الحاليين عظيم ، ففي عود الضمير على الفتيات تعريض بالمسافحات فضلاً على تسجيل ما للفتيات المؤمنات من تميز في هذا الجانب .

* * * * *

■ وقوله تعالى (٢٥١) : (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَغْدًا مَوْتِيهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). فوقعت جملة (يُرِيكُمُ) موقع المبتدأ المؤخر من غير تأويل مصدر ظاهر والفعل مرفوع . فأولها بعضهم على إضمار [أن] وحذف لدلالة الكلام عليه ، فهو كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى وأن أشهد الذات هل أنت مخلدي

فكر وإبداع

والتقدير : أن أحضرَ ، بدليل عطف : وأن أشهد عليه . قال الشوكاني (٢٥٢) : فلما حذف الحرف في الآية والبيت بطل عمله ، ومنه المثل المشهور : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه " . ويبقى فرق ما بين الآية والبيت ؛ فالآية بالرفع فلم تعمل إن مضمرة ، على خلاف البيت حيث نصبت الفعل وهي مضمرة . وهذا على رأي الكوفيين في إجازتهم نصب المضارع بأن المضمرة في غير المواضع المذكورة في وجوب إضمارها وتلك المذكورة في جوازها (٢٥٣) ، وجعلوا منه قراءة النصب في قوله تعالى (٢٥٤) : (رَأَوْا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (٢٥٥) .

وذهب آخرون إلى القول بالتقديم والتأخير ؛ والمعنى : ويريكم البرق من آياته، فتكون جملة فعلية عطفت على الجملة الاسمية قبلها في قوله تعالى (٢٥٦) : (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنِّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) .

ولا يخفى ما فيه من مخالفة نسق الآيات قبلها وبعدها حيث جاءت كلها اسمية خبرها المقدم قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ) (٢٥٧) .

وأجاز بعضهم أن يكون (يُرِيكُمْ) صفة لموصوف محذوف أي : ومن آياته آية يريك بها وفيها البرق (٢٥٨) .

■ وقال تعالى : (٢٥٩) (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَنُيَسِّرَنَّ لَكَ الشَّرْكَاتِ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

فالموحي إليه اثنان : النبي ، ومن قبله من الأنبياء والرسل – صلوات الله عليهم أجمعين – ولكن الخطاب بعد ذلك جاء للمفرد في قوله (لنن أشركتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فما وجه ذلك ؟

١ . فقال بعضهم : الكلام على التقديم والتأخير ؛ والتقدير : وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ لَنَنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وأُوحِيَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ كذلك (٢٦٠) . وعلى هذا تكون جملة (لنن أشركتَ) تفسيراً لجملة (أُوحِيَ إِلَيْكَ) .

٢ . وقال آخرون هو على سبيل الأمرين الذين يخبر عن أحدهما ويكف عن الآخر ، كما تقول : لقد قيل لزيد وعمر ليذهبن ، ومعناه : لقد قيل لزيد ليذهبن وعمر ليذهبن ، فاستغني بقوله : وعمر عن قوله : ليذهبن ، بما صار لزيد ، فاجتزئ بأحد الخبرين عن الآخر (٢٦١) وعلى هذا تكون جملة (لنن أشركتَ) تفسيراً لقوله (أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) . وتاء الخطاب في (لنن أشركتَ) لكل من أوحى إليه بمضمون هذه الجملة من الأنبياء .

٣ . وذهب آخرون إلى أن الكلام على ترتيبه من غير تقديم وتأخير ، وأفرد الخطاب باعتبار كل واحد منهم ، على أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدته وتقديره : ولقد أوحى إليك وإلى كل واحد من الأنبياء هذا الكلام وهو: لنن أشركت ليحبطن عملك . كما تقول : كسانا حلة والمقصود به : كسا كل واحد منا (٢٦٢) .

٤ . وذهب ابن عاشور إلى جواز أن يكون الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – فتكون جملة (لنن أشركتَ) بيانا لقوله (أَوْحِيَ إِلَيْكَ) ، ويكون

فكر وإبداع

قوله (وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) معترضاً بين البيان ، وهو قوله (لئن أشركت) والمبين ، وهو قوله (أُوْحِيَ إِلَيْكَ) لأن البيان تابع للمبين عمومه ونحوه (٢٦٣).

٥. أما أبو حيان فقد جعل الضمير في قوله (لئن أشركت) وما بعده من الخطاب ، للسامع لا للنبي - صلى الله عليه وسلم - ويدل له أمران : الأول : أن الإشراك مستحيل على من عصمه الله وهم الأنبياء ، فوجب تأويل الخطاب لغيرهم .

الثاني : لو كان المخاطب هو النبي - صلى الله عليه وسلم - لكان التركيب : لئن أشركتم فيشمل ضميره هو والذين من قبله ويغلب المخاطب (٢٦٤).
٦. وذهب مقاتل إلى أن ضمير الخطاب في (لئن أشركت) وما بعده للنبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة ، على تقدير محذوف هو [بالتوحيد] أي : أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ بالتوحيد ، ثم قال مستأنفاً : لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملك (٢٦٥) .

ويظهر لي - والله أعلم - أن الخطاب في قوله (لئن أشركت) للنبي - صلى الله عليه وسلم - وإخوانه الأنبياء ، وهذا لا ينافي عصمتهم ، فهو - والله أعلم - أدب من الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وتهديد لغيره ، فالمراد به أمته وإنما خوطب به - صلى الله عليه وسلم - تعظيماً للأمر ، فجاء على وجه الفرض والتقدير ؛ أي لو وقع منهم شرك لحبط عملهم لكنه لم يقع منهم . وأفرد الضمير تغليفاً للمخاطب على الغائب لبيان أن المقصود بالخطاب أمته هو - صلى الله عليه وسلم - لا أمم الأنبياء السابقين ، فغلب

المفرد المخاطب على الجمع الغائب ، ومثله قوله تعالى : (٢٦٦) (فَمَا أَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةُ مَنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَنِهِمْ أَنَّ يَقْتَنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) والمذكورون جمع هم (فِرْعَوْنَ وَمَلَنِهِمْ) فغلب ضمير المفرد في قوله (أَنَّ يَقْتَنَهُمْ) لأن خوفهم من فرعون كان أكثر من خوفهم من الأشراف ، ولولا تغليب المفرد على الجمع لقليل : أن يفتنواهم .

كما أن الجمع قد يغلب على الواحد كما في قوله تعالى (٢٦٧) : (قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لُخْرَجَتَكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ عَادِينَ) ولم يكن شعيب - عليه السلام - على ملة هؤلاء القوم في يوم من الأيام حتى يعود إليها وقد تركها، وإنما هو من تغليب الجمع في قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ) على المفرد .

وأما قول أبي حيان (٢٦٨) : إذ لو كان هو - أي النبي صلى الله عليه وسلم - المخاطب لكان التركيب : لنن أشركتم ، فيشمل ضميره وضمير الذين من قبله ، ويغلب الخطاب " فليس بلأزم ؛ إذ التغليب عبارة عن اجتماع أمرين وجريان الكلام على أحدهما (٢٦٩) ، وهو هنا متحقق بتغليب الخطاب على الغيبة ؛ فالأمران هما : إليك ، وإلى الذين من قبلك ، ثم جرى الكلام على المخاطب مغلباً على غيره . ونظيره قوله تعالى (٢٧٠) : (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) .

■ ومنه قوله تعالى (٢٧١) : (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) .

وقد ثار خلاف بين النحويين في جواب (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) : فذهب المبرد إلى أنه (وَأَذْنَتْ) على زيادة الواو تشبيهاً له بقوله تعالى (٢٧٢) : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) على حذف الواو من (وَفُتِحَتْ) . وقوله تعالى (٢٧٣) : (حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) . قال (٢٧٤) : ومعناه : اقترب . والله أعلم .

وذهب المبرد والأخفش إلى القول بالتقديم والتأخير ؛ قال الأخفش (٢٧٥) : وأما (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) فعلى معنى : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ، على التقديم والتأخير (٢٧٦) .

أما رأي الفراء فقد غلطه ابن الأنباري لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع [حتى إذا] ، ومع [لما] ولا تقحم مع غير هذين (٢٧٧) .

ويبقى أن قول المبرد والأخفش بتقديم الجواب هو الأقرب للمعنى والأسلم من الطعن .

* * * * *

وقال تعالى (٢٧٨) : (وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَنْشُودٍ * قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ) .

فقد اختلفوا في جواب القسم ما هو ؟ فذهب الفراء والأخفش إلى أنه (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) على إضمار اللام وقد ، كما كان جواب قوله تعالى (٢٧٩): (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) قوله (٢٨٠) : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) والتقدير : لقد أفلح (٢٨١) .

وقيل : الجواب قوله تعالى (٢٨٢) : (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) واعترض عليه بطول الفصل (٢٨٣).

وأجاز الأخفش أن يكون الجواب قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) ولكن على التقديم والتأخير ؛ قال (٢٨٤) : وإن شئت على التقديم والتأخير كأنه قال : قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (٢٨٥) . قال الشوكاني عن هذا الوجه (٢٨٦) : واعترض عليه بأنه لا يجوز أن يقال : والله قام زيد .

وليس الاعتراض بمتجه ؛ لأن المثال على تقدير الأخفش ينبغي أن يكون : قام زيد والله ، وليس : والله قام زيد . وعلى تقدير الأخفش ورد الحديث الشريف ومنه : فزت ورب الكعبة (٢٨٧) ، وقوله (٢٨٨) : هم الأخسرون ورب الكعبة ، هم الأخسرون ورب الكعبة ، وقوله (٢٨٩) : انهزموا ورب الكعبة ، وقوله (٢٩٠) : بدعة ورب الكعبة ، وغيرها .

ثالثاً : ما قيل فيه بالتقديم والتأخير نظراً إلى المعنى والقاعدة النحوية معاً

■ ومنه قوله تعالى (٢٩١) : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) .

فذهب الأخفش إلى القول بتقديم قوله (بَغِيَا) وجعله متعلقاً بـ (اِخْتَلَفَ)
والتقدير : وَمَا اِخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بَغِيَا بَيْنَهُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ (٢٩٢) . ويكون انتصاب (بَغِيَا) بـ (اِخْتَلَفَ) على المفعول لأجله لما دل
عليه ما وإلا من ثبوت اختلافهم بعد مجيء العلم ، والاستثناء مفرغ ، فكانهم
إنما اختلفوا للبغي لا لغيره أي : ما اختلفوا بغياً بينهم إنما اختلفوا للبغي .

ورأى غيره أن الآية على نظمها وترتيبها الأصلي من غير تقديم .
والمعنى : وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم إلا للبغي بينهم ، فهو إخبار
عنهم بأن اختلافهم إنما كان للبغي . ولعل في نظم الآية من ذكر (بَغِيَا) بعد
كل من : (وَمَا اِخْتَلَفَ) و (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) ما يشير إلى اتساع
المعنى ليشمل الأمرين فيكون (بَغِيَا) متنازعا معناه بين الفعل (اِخْتَلَفَ)
ولفظ (الْعِلْمُ) وفي تأخير (بَيْنَهُمْ) عن كل ما يصلح للتعلق به ليتنازعه في
المعنى قوله : (جَاءَهُمْ) ، و (الْعِلْمُ) ، و (بَغِيَا) .

ويرد على قول الأخفش ضعف في المعنى ، وعلى قول غيره إشكال
نحوي . أما ضعف المعنى فهو ما يوهمه تقديم (بَغِيَا) من كون اختلافهم إنما
سببه ما جاءهم من العلم ، ومجيء العلم هو الوحي الذي جاءت به رسلكم
وأنبياؤهم ؛ وذلك لأن كلمة (جَاءَهُمْ) مشعرة بعلم متلقى من الله تعالى
مصدره الوحي . في حين أن المعنى على نظم الآية أن اختلافهم إنما كان
لأجل الحسد والبغي .

وأما الإشكال النحوي فهو أن يأتي بعد إلا مستثنيان بها من غير عطف ؛
الأول : (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) ، والثاني : (بَغِيَا) . قال أبو حيان (٢٩٣) :
وهو لا يجوز" . وقال (٢٩٤) : وأجاز قوم أن يقع بعد إلا مستثنيان دون عطف

والصحيح أنه لا يجوز " . وقال ابن السراج - فيما حكى عنه أبو حيان (٢٩٥): أعطيت الناس درهماً إلا عمراً ، جائز ، ولا يجوز : أعطيت الناس درهماً إلا عمرو الدنانير ؛ لأن الحرف لا يستثنى به إلا واحد " . وسبب امتناعه - كما ذكر أبو حيان - أن إلا معدية من حيث المعنى ، ولولا إلا لما جاز للاسم بعدها أن يتعلق بما قبلها . وقد بين جوازه مع العطف وامتناعه من غيره بأن حرف العطف ينوي بعده إلا فصارت كالمفوض بها ، فهي في هذا مثل واو المعية ؛ فكما أنها لا تتعدى لغير مطلوبها الأول إلا بحرف العطف فكذاك إلا .

وأرى - والله أعلم - بُعد ما اختاره الأخفش من تقديم (بغيًا) ونصبه مفعولاً لأجله من (اختلف) حيث يوهم التقديم أن الوحي والعلم به هو سبب اختلافهم وأنه من مقصودات الآية حيث جاء ذكره بعد إلا على الاستثناء بعد على سبيل الحصر ، في حين أن بغيهم وهو المعنى بالذكر يأتي ذكره عرضاً . كما أن (بغيًا) يجوز أن يكون منصوباً على المفعول المطلق المؤكد لعامله المقدر وهو : وما بغي ، كأنه لما قيل : (وَمَا اختلف) دل على معنى : وما بغي . والفرق بين النصيبين أنه على الأول يكون البغي غرض الاختلاف ، وعلى الثاني يكون هو المفعول المطلق الذي أحدثه فاعل الاختلاف . ويجوز أن يكون حالاً من (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) والمعنى : وما اختلفوا إلا في هذه الحال ، فيكون مصدراً موزولاً بالمشتق .

كما أنه يمكن أن يكون مفعولاً لأجله عامله مقدر بعد إلا والتقدير : وما اختلفوا إلا في زمان بعد ما جاءهم العلم وما كان إلا بغيًا بينهم . فلاستثناء كان من أزمان وعلل محذوفة (٢٩٦).

فكر وإبداع

■ وقوله تعالى (٢٩٧) : (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) .

وهنا يبرز إشكال نحوي في تفسير عود الضمير المنصوب في (تَرَوْنَهَا) يرتب عليه آخر دلالي مؤداه : هل للسماء عمد ترفعها أو لا ؟ وإن كان لها عمد فما تفسيرها ؟ فالضمير المنصوب في (تَرَوْنَهَا) يحتمل أن يكون مرجعه للسموات أو للعمد (٢٩٨) . فعلى الاحتمال الأول : يكون المعنى على نفي العمد عن السموات فلا عمد لها (٢٩٩) ، ويكون محل جملة (تَرَوْنَهَا) محتملاً الآتي:

١. لا محل لها من الإعراب جملة مستأنفة ، والمعنى : أنها مرفوعة بغير عمد كما ترونها ، فهو استشهاد برويتهم لها كذلك (٣٠٠) ، ولم يذكر الزمخشري غيره (٣٠١) . وكما قال الفراء (٣٠٢) : لا تحتاج الرؤية إلى خبر " فتكون جملة (تَرَوْنَهَا) تأكيداً للنفي (٣٠٣) . وذهب بعضهم إلى أنها خبر لفظاً ومعناه الأمر ، أي : انظروا إليها لتعتبروا بها . فهي أيضاً على هذا التقدير مستأنفة لأن الطلب لا يقع صفة ولا حالاً .

٢. أن تكون في موضع نصب على الحالية المقدرة ؛ لأنه حين رفعها لم تكن نحن مخلوقين (٣٠٤) . أي : رفع السموات مرئية لكم بغير عمد .

٣. وأن يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير : رفع السموات ترونها بغير عمد . ويعزى هذا القول إلى الحسن (٣٠٥) . وفي موضعها الاحتمالان السابقان .

أما على الاحتمال الثاني : فجملة (تَرَوْنَهَا) في موضع الجر صفة لـ (عَمَدٍ)، (٣٠٦) والمعنى على وجهين :

الأول : أن السماء ليس لها عمد مرئية ، أي أنها مرفوعة بعمد ولكنها لا ترى. وهو ما يشير إليه ظاهر الآية ، وقد روي عن ابن عباس قوله : وما يدريك أنها بعمد لا ترى ؟ (٣٠٧). وقد ذهب به الفراء مذهب ما قدمت العرب فيه الجحد من آخر الكلام إلى أوله ، كقوله (٣٠٨):

إذا أعجبك الدهر حال من امرئ فدعه وواكل أمره والياليا

يجنن على ما كان من صالح به وإن كان فيما لا يرى الناس ألبا

ومعناه : وإن كان فيما يرى الناس لا يألو ، فحرف النفي مؤخر ولكنه مقدم في المعنى . وقول إبراهيم بن هرمة :

ولا أراها تزال ظالمة تحدث لي نكبة وتكؤها

والمعنى : وأراها لا تزال . وعلى هذا يكون المعنى في الآية : رفع السماء بعمد غير مرئية .

الثاني : نفي العمد والمقصود نفي الرؤية عن العمد أي : لا عمد لها فتري ، ويؤيده قوله تعالى (٣٠٩): (وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ). وروي عن ابن عباس قوله (٣١٠): ليست من دونها دعامة تدعّمها ولا فوقها علاقة تمسكها " . ولذلك عده الشنقيطي من قبيل المحكوم عليه بعدم الوجود فيعلم منه انتفاء الحكم عليه بذلك الأمر الموجود (٣١١) . فهو كقول امرئ القيس (٣١٢):

على لاحب لا يهتدي بمناره إذا سافه العود الديافي جرجرا

أي : ليس ثم منار فلا يكون اهتداء . وقول الأعشى :

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ولا يعض على شرشوفه الصفر

أي : ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها لذلك . وقوله (٣١٣) :

لا تُفزعُ الأرنبَ أهوالها ولا ترى الذئبَ بها يتجحرُ

فالمعنى على هذا : لا عمد للسماء فلا رؤية للعمد . وقال الثعالبي (٣١٤) :

قال جمهور الناس : لا عمد للسموات ألبتة ، وهذا هو الحق .

ولعل ما دفع الحسن إلى القول بالتقديم والتأخير حتى يتمحض عود الضمير إلى السموات ولا يحتمل عوده على العمدة ، هو ذلك الخوض في تفسير العمدة وبخاصة ما ذهب إليه بعض الظاهريين من أنها جبل قاف وما يؤدي إليه هذا المفهوم من التسلسل ، وهو ما يتنافى مع كمال القدرة الإلهية التي جاءت الآية مصورة شيئاً منها ، فظاهر الآية على ترتيبها الأصلي قد يفهم منه أن للسماء عمداً ترفعها ولكننا لا نراها . ومثل هذه الآية قوله تعالى : (٣١٥) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ يَغْيِرَ عَمَدَ ثُرُوتِهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَيَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) .

ومع ذلك فإن أرجح القولين في عود الضمير - كما أرى - الثاني ؛ فهو

عائد على العمدة ويؤيده :

١. عود الضمير على أقرب مذكور عند انتفاء المانع ، ولا مانع هنا من عوده على العمدة .

٢. الوقوف عند ظاهر الكلام إذا لم تدع الحاجة إلى القول بالتقديم والتأخير ؛ وليس ثمة حاجة لهذا التأويل ؛ ولذلك قال الشوكاني معترضاً رأي الحسن (٣١٦) : ولا ملجئ إلى مثل هذا التكلف .

٣. قراءة أبي (٣١٧): (بغير عمد ترونه) بالتذكير ؛ مراعاة للفظ (عَمَدٌ) إذ هو اسم جمع ، والباب في جمعه : عُمْدٌ ، بالضم (٣١٨).

وأرجح المعنيين ، على هذا القول ، أن للسماء عمداً لا ترى ، على أن العمد هي قدرته سبحانه وتدبيره (٣١٩)، ولكننا لا نرى تلك القدرة ولا تلك التدبير ولا نعرف كيفيته . وهنا يمكن الجمع بين قولي ابن عباس ؛ حيث أثبت أن للسماء عمداً بقوله : [وما يدريك أنها بعمد لا ترى ؟] وقوله [ليست من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها] حيث نفى أن يكون لها عمد ؛ يمكن الجمع بينهما بأنه يعني نفي العمد المرئية لا غيرها . ولا تعارض بين هذا وقول الجمهور : ليس للسماء عمد البتة .

* * * * *

■ وقال تعالى (٣٢٠) : (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ) .

من سمت العربية أن يجمع بين العدد والمعدود فيما وراء الاثنين من الأعداد فيقال : لدي ثلاثة كتب وتسع دواب ، أما الواحد والاثنين ففيهما الدلالة على المعدود فلا حاجة إلى القول : كتاب واحد ولا : كتابان اثنان ، وعلى ذلك فما وجه وصف (إِلَهَيْنِ) بـ (اثنَيْنِ) ووصف (إِلَهٍ) بـ (وَاحِدٍ) في هذه الآية وقد علم أن التثنية في (إِلَهَيْنِ) قد دلت على الاثنينية ، والإفراد في (وَاحِدٍ) قد دل على الوحدة ، فإن الإلهين لا بد وأن يكونا اثنين ، وما الفائدة في قوله (إِلَهَيْنِ اثنَيْنِ) ؟ وما إعراب كل من (إِلَهَيْنِ) و (وَاحِدٍ) ؟

فكر وإبداع

■ فقيل : إن (اثنتين) للتأكيد وهو منصوب على الوصف لـ (إلهين) كما رفع (واحد) على الوصف لـ (إله) ، أما بيان التوكيد وعلّة الوصف هنا ففيه خمسة أقوال.

أحدها : أن الاسم الموضوع للإفراد والتثنية قد يتجاوز فيه فيراد به الجنس فيقال : نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان ، وكقول الشاعر :

فإنَّ النارَ بالعودين تُنكَى وإنَّ الحربَ أولها الكلامُ

فأكد الموضوع لهما بالوصف فقيل (إلهين اثنتين) وقيل : (إله واحد) وهو اختيار أبي حيان (٣٢١).

وثانيها : أن الاسم الذي يحمل معنى الإفراد والتثنية يدل على الجنسية وعلى العدد المخصوص ، فإذا كان المراد ومساق الحديث العدد ، تبعه ما يؤكد أنه يدل على القصد إليه والعناية به ، فلو قيل : إنما هو إله ولم يؤكد لم يحسن لاحتمال إثبات الإلهية لا الوجدانية . ومعلوم أن خلاف المشركين إنما هو في الواحدية لا في الإلهية . وهو قول الزمخشري (٣٢٢).

وثالثها : أنه تأكيد وبيان بالعدد ومعروف في كلام العرب أن يبين المعدود بذكر عدده تأكيداً (٣٢٣).

ورابعها : أنه للمبالغة في التنفير عن هذا الأمر المستقبح المستنكر ، فعبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سبباً لوقوف العقل على ما فيه من قبح .

وخامسها : أن المقصود من هذا الوصف التنبيه على حصول المنافاة والمضادة بين الإلهية والإثنية .

وعلى هذا فقوله (لَا تَتَّخِذُوا) له مفعول واحد هو (إِلَهَيْنِ) . أو له مفعولان أولهما (إِلَهَيْنِ) وثانيهما محذوف تقديره : معبوداً أو مطاعاً .

■ وقيل : في الكلام تقديم وتأخير والتقدير : لَا تَتَّخِذُوا اثْنَيْنِ إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ إِلَهٌ . فالمراد به نفسه وغيره فقال (إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) على إثبات المذكور ونفي ما عداه فكأنه قال : هو إله واحد لا إله غيره (٣٢٤) . ولا تَتَّخِذُوا) على هذا متعدد لمفعولين الأول (اثْنَيْنِ) والثاني (إِلَهَيْنِ) كما في قوله تعالى (٣٢٥) : (وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) فالمفعول الأول (ذُرِّيَّةً) والثاني (وَكِيلًا) على التقديم والتأخير .

وأحسن من القول بالتقديم والتأخير قول الزمخشري ومن تبعه أنه على التوكيد فيعلم من زيادة (اثْنَيْنِ) أن النهي متجه إلى التعدد لا إلى الجنسية . أما القول بالتقديم والتأخير فإنه وإن كان جائزاً إلا أنه بعيد .

■ وقال تعالى (٣٢٦) : (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

فم الاستثناء بقوله (إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) أمن متقدم هو أم

من متأخر ؟

فعلى الأظهر في إعراب [من] في قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ) شرطية في موضع رفع مبتدأ (٣٢٧) ، فيحتمل الاستثناء أن يكون من متقدم على النحو الآتي :

■ أن يكون مستثنى من (مَنْ كَفَرَ) استثناء متصل ؛ فالكفر يكون تلفظاً باللسان دون الاعتقاد ، ويكون بالاعتقاد ، ولذا استثنى الصنف الأول من الكافرين وهم من نطقوا بلفظ الكفر وقلوبهم مطمئنة بالإيمان ، فهذه رخصة عند الإكراه . وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما بعده والتقدير : الكافرون بعد الإيمان غير مكرهين فعليهم غضب من الله .

■ ويحتمل أن يكون استثناء من الجواب المحذوف على الانقطاع ؛ والمعنى : فعليهم غضب من الله إلا من أكره وقلبه ومطمئن بالإيمان فلا غضب عليه ولا عذاب .

ويحتمل أن يكون استثناء من متأخر فيكون الاستثناء مقدماً في المعنى ؛ والتقدير : مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مِّنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا . وهو استثناء منقطع ؛ لأن المكره لم يشرح بالكفر صدراً (٣٢٨) . فهو عروض قول لبيد بن أبي ربيعة :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

فتقدير معناه : ألا كل شيء باطل ما خلا الله .

والقول بالتقديم والتأخير هنا يجعل الاستثناء مؤخراً بعد ذكر جزاء من كفر بالله شارح الصدر بالكفر ، وفي جعل الاستثناء على نظم الآية يدعم رخصة

الإكراه على الكفر تطميناً لقلوب المؤمنين ، ولعله المراد ويؤيده ما جاء في سبب نزولها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأل من أكرهه على التلفظ بالكفر مكرهاً فقال له : كيف كان قلبك حين قلت الذي قلت أكان منشراحاً بالذي قلت أم لا ؟ فقال : لا . فأنزل الله (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) وفي حديث آخر : إن عادوا فعد . (٣٢٩)

* * * * *

■ ومنه قوله تعالى (٣٣٠) : (وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّاسًا ذَلِكَمْ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

ففي الآية بحث في المبني والمعنى ، في ظاهر اللفظ ومضمون الكلام ، أسهم فيه علماء العربية ثم المفسرون ومن بعدهم الفقهاء . أما علماء العربية فلهم فيها قولان :

الأول : قول الأخفش ، وهو أن بها تقديماً وتأخيراً ، قال (٣٣١) : المعنى : فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، فمن لم يجد فإطعام ستين مسكيناً ، ثم يعودون لما قالوا أن لا نفعله فيفعلونه ، هذا الظاهر . . . فإذا أعتق رقبة أو أطعم ستين مسكيناً عاد لهذا الذي قد قال إنه علي حرام ، ففعله" . والمعنى : فعليهم تحرير رقبة من أجل ما قالوا ، فالجار والمجرور (لما قالوا) متعلق بمحذوف هو خبر المبتدأ وهو (عليهم) المحذوف للدلالة عليه .

الثاني : وهو ما ذهب إليه الفراء . قال (٣٣٢) : يصلح فيها في العربية : ثم يعودون إلى ما قالوا ، وفيما قالوا ، يريد : يرجعون عما قالوا " . أي أن اللام هنا تكون بمعنى إلى وبمعنى في وبمعنى عن (٣٣٣) . ونقل عن أبي علي الفارسي أن [إلى واللام] يتعاقبان كقوله تعالى (٣٣٤) : (الحمد لله الذي هدانا لهذا) وقوله (٣٣٥) : (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) فعُدِّي الفعل (هدى) بـ [اللام] كما عُدِّي بـ [إلى] وقوله تعالى (٣٣٦) : (وأوحى إلى نوح) وقوله (٣٣٧) : (بأن ربك أوحى لها) . فعُدِّي (أوحى) بـ [إلى] كما عُدِّي بـ [اللام] (٣٣٨) .

وعلى هذا التأويل في معنى اللام - وهو الأرجح - فقوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) يحتمل أمرين :

الأول : أنهم يعودون للفظ الظهار .

الثاني : أن يراد به مقول القول أي الذي حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار ، كما في قوله تعالى (٣٣٩) : (ونرثه ما يقول) أي : ونرثه المقول .

وعلى الاحتمال الأول ، وما في اللام من معان ، فالعود يحتمل أمرين :

الأول : فعل الشيء مرة أخرى (٣٤٠) .

الثاني : ويحتمل نقض الفعل . قال الفراء (٣٤١) : وقد يجوز في العربية أن تقول : إن عاد لما فعل ، يريد : إن فعله مرة أخرى ، ويجوز : إن عاد لما فعل : إن نقض ما فعل ، وهو كما تقول : حلف أن يضربك ، فيكون معناه : حلف لا يضربك وحلف ليضربك " .

وعلى الأول وجوه : منها أن يكون بتكرير الظهار في الإسلام وكانوا يفعلونه في الجاهلية ، ومنها تكرير لفظ الظهار ، فإن لم يكرره لم يعد . أو العود هو الحلف (٣٤٢) .

أما الوجه الثاني فعليه أكثر المجتهدين ، وقد اختلف المفسرون والفقهاء فيه على وجوه يطول ذكرها وليس هاهنا مكانها .

أما قول الأخفش بحمل الكلام على التقديم والتأخير فيبدو أنه ضعيف غير متجه لما فيه من تفكيك الكلام وطول الفصل ؛ ولذلك قال عنه ابن عطية (٣٤٣) : وهذا أيضاً قول يفسد نظم الآية وحكي عن الأخفش لكنه غير قوي " . وكذلك ضعفه أبو حيان وذكر مثل هذا (٣٤٤) .

خاتمة البحث

بعد درس بعض مما قيل فيه بالتقديم والتأخير من أي القرآن الكريم أقف على خالصة القول مما يستيقظ النظر ويسترعي الانتباه فأقول :

- بدا جلياً أن النظر اللغوي إلى الآيات القرآنية بقصد تأويلها من زاوية المقدم والمؤخر في المعنى ، لم يقتصر على خالف العلماء والمفسرين بل امتد إلى سالفهم كعلي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة والحسن بن الفضل وابن زيد والضحاك وابن جريج والنخعي ومقاتل وغيرهم . مما يؤكد أن القول بالتقديم والتأخير كان وسيلة

معتبرة من وسائل تأويل الكلام إذا بدا من حيث ظاهره لا يستقيم والقاعدة أو المعنى أو هما معاً .

- كما أن هناك مواضع يجمع جمهور أهل العلم أو يكادون على القول فيها بالتقديم والتأخير كما في قوله تعالى : (٣٤٥) : (كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَيُكَفِّرَ بِالْمُؤْمِنِينَ) . وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم كما ومنهم : الفراء ، والأخفش ، والزمخشري ، والزجاج ، والطبري ، والقمي النيسابوري ، والثعلبي ، والخازن ، وغيرهم . وقوله تعالى في سورة الكهف : (٣٤٦) : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) والمعنى : أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً (٣٤٧) . وكذلك قوله تعالى : (٣٤٨) : (وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) (٣٤٩) وبعضها لا يعدو أن يكون قولاً لأحدهم كالقول بالتقديم والتأخير في قوله تعالى (٣٥٠) : (وَلَا تَتَكَبَّرُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) ولذلك قال أبو حيان فيمن قال به (٣٥١) : وهذا جهل بعلم النحو وعلم المعاني . وكقول بعضهم في قوله تعالى (٣٥٢) : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) أنه على التقديم والتأخير ، والمعنى : يسألون عنك الأنفال (٣٥٣) . وقول أبي عمر بن العلاء في قوله تعالى (٣٥٤) : (أَلَمْ يَكُنْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السموات وما في الأرض (فمعناه كما قال : صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الأرض (٣٥٥).

• ومن مواضع القول بالتقديم والتأخير ما كان متجهاً سائغاً ، كما في قوله تعالى (٣٥٦) : (كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَتُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ) بحمل الكلام على التقديم والتأخير والتقدير : كتاب أنزل إليك لتنذر به وتذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه . والقول بتقديم (بالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) لتعلق بقوله (نُوحِي إِلَيْهِمْ) في قوله تعالى : (٣٥٧) (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

• ومنها ما كان تأويله على التقديم والتأخير يُذهب فصاحة الكلام ويفسد نظمه لما فيه من كثرة الفصل وطول الاعتراض . كقول الأخفش به في قوله تعالى (٣٥٨) : (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ ثَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) والمعنى - كما قال : فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا . وقول بعضهم في قوله

تعالى : (٣٥٩) : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) . والمعنى عندهم : وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا مَتَى نَصْرُ اللَّهِ وَيَقُولَ الرَّسُولُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ .

وقولهم بعطف (وَفَرَحُوا) على (يَنْفَضُونَ) على التقديم والتأخير في قوله تعالى : (٣٦٠) (وَالَّذِينَ يَنْفَضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) .

- كان لقراءات القرآن سهمتها في القول بالتقديم والتأخير إثباتاً أو نفياً ؛ ومنها : قراءة علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وجعفر بن محمد : [يحفظونه بأمر الله] (٣٦١) في قوله تعالى (٣٦٢) : (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) . وقراءة أبي بكر الصديق وابن مسعود وابن جبير وطلحة : [وجاءت سكرة الحق بالموت] (٣٦٣) في قوله تعالى (٣٦٤) : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) . وقراءة عبد الله بن مسعود : [نحيا ونموت] (٣٦٥) في قوله تعالى : (٣٦٦) (إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) . وقراءة ابن عباس : [يسألونك كأنك حفي بها] في قوله تعالى (٣٦٧) : (يَسْأَلُونَكَ عَنْ)

السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) . وقراءة عبد الله بن مسعود : [يدعو من ضره أقرب من نفعه] بإسقاط اللام (٣٦٨) في قوله تعالى (٣٦٩) : (يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ) . وقراءة أبي (٣٧٠) : [بغير عمد ترونه] بالتذكير ، في قوله تعالى : (٣٧١) (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) .

وهذا يؤكد أن البحث اللغوي في مسيس الحاجة إلى تلمس المعاني النحوية ووجوه التأويل من القراءات القرآنية لثرائها وتنوعها .

- وما يوصف به النحو العربي في مجمله أنه يقتصر على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة ولا يتخطاها إلا في حدود ضيقة للغاية (٣٧٢) ، ومن ثم كانت الحاجة ملحة إلى علم النص الذي يحاول أن يمسك بزمام النص ويفسره ويتعرض لكل الجوانب المشكلة للنص، فيعالج الظواهر اللغوية في إطار النص بوصفه وحدة كبرى ولا يقف عند حدود الجملة فحسب ؛ بل يتجاوز مستوى الجملة ليشمل العلاقات فيما بين الجمل وما بين الفقرات وما في حكمها حتى يتناول النص في مجمله . بحيث يخرج الدرس النحوي من ضيق الجملة إلى سعة النص ، ومن محدودية الغاية التعليمية إلى لا محدودية الكشف والاستكناه لعبقرية اللغة وإمكاناتها (٣٧٣).

وإذا كانت نظرية نحو النص تبدو الآن في قشيب ثوبها الغربي خالصاً لا ينازع فيه ؛ فإن من خالص القول فيما ذهب إليه القائلون بالتقديم والتأخير في أي من القرآن الكريم ما يؤكد نزوع النحو العربي إلى التركيب وصولاً إلى النص مروراً بمستوى العلاقة بين ألفاظ الجملة الواحدة ثم على مستوى الجمل وما بين الجمل . وفيه - تأسيساً على ذلك - ما ينفي خلوص تلكم النظرية للغرب بل يعود بجذورها إلى منبتها وإن كسيت أثواباً غير الأثواب وسميت بأسماء غير الأسماء . ففي قوله تعالى : (٣٧٤) (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَادْكُرُونِي أَتَنْكُرُون *) . قد اختلف في متعلق الكاف في قوله (كَمَا أَرْسَلْنَا) وهي الآية [١٤٣] من سورة البقرة ، وحاصله جواز تعلقه بقوله (ولآتِم) في الآية التي قبلها ، والتقدير : ولآتِم نعمتي عليكم إتماماً مثل إتمام إرسال الرسول (٣٧٥) . أو يتعلق بقوله (تهتدون) في الآية التي قبلها أيضاً ، والتقدير : تهتدون اهتداءً مثل إرسالنا فيكم رسولا . بل ذهب بعضهم إلى القول بتعلقه بقوله تعالى في آية سابقة (٣٧٦) : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) وهي الآية رقم [١٥٠] من السورة وفرق ما بين الآيتين سبع آيات ؛ ويجوز أن تكون متعلقة بما بعدها

وهو قوله (فانكروني) ، فيكون على التقديم والتأخير (٣٧٧)، والتقدير : فانكروني كما ذكرتمكم بإرسال الرسل فانكروني بالطاعة أنكركم بالثواب . وليس هذا من نحو الجملة بقدر ما هو من التناص إذ العلاقة قائمة هنا بين أجزاء النص وما في حكم فقراته وهو الآيات . ومثله قوله تعالى (٣٧٨): (وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلَيْسَتَغْنِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَنُوتَهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي أَنَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَتِّيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) . فأكثر المفسرين على أن الضمير راجع إلى (فِتْيَاتِكُمْ) ، وذهب آخرون إلى أنه راجع إلى (الْأَيَامَى) في صدر الآية التي قبلها على التقديم والتأخير ؛ والتقدير : وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا (٣٧٩). وفي قوله تعالى (٣٨٠) : (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كُنْحًا فَمُلَاقِيهِ) ، فقد اختلف النحويون في جواب (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) وهي الآية الأولى في السورة ، فاختار المبرد والأخفش القول بالتقديم والتأخير ليكون جوابها (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كُنْحًا فَمُلَاقِيهِ) وهي الآية السادسة من السورة (٣٨١) بل نسب إلى الكسائي أن الجواب قوله تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه) وهي

الآية السابعة من السورة (٣٨٢). وفي قوله تعالى (٣٨٣) : (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ
الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ) ذهب
الفراء والأخفش إلى أن جواب (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ) قوله (قِيلَ أَصْحَابُ
الْأَخْذُودِ) وهي الآية الرابعة . وقيل : الجواب قوله تعالى (٣٨٤) : (إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) (٣٨٥) وهي الآية الثانية عشرة .

فما أحرانا أن نعيد درس النحو العربي من منطلق النص كي نعود مرة
أخرى إلى فكرة التكامل والتداخل بين علوم العربية من أجل تفسير النص
وتحليله وذلك بدراسة الظواهر التركيبية النصية التي لم تكن محط اهتمام كبير
فيما سبق ، مثل : علاقات التماسك النحوي النصي ، وأبنية التطابق ، والتقابل ،
والتراكيب المحورية ، والتراكيب المجتزأة ، وحالات الحذف ، والجمل
المفسرة ، والتحويل إلى الضمير ، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في
نصوص فردية ، وغيرها من الظواهر التي تتجاوز إطار الجملة المفردة حتى
تعود للدرس النحوي بمعناه التكاملي مكانته من الريادة التي تأثرت له من قبل .

الحواشي

١. الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لابن فارس : ١٠٥ .
٢. فهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبى : ٧٣. والإكسير فى علم التفسير لسليمان الصرصرى : ١٥٤ .
٣. معانى القرآن للأخفش : ٣٠٢ / ٢ . ويبدو أنهم لم يكونوا يفرقون بين التقديم والتأخير والاعتراض ويدل له ما أورده من أمثلة .
٤. النكت والعيون للماوردي : ١ / ١٥٧ ، واللباب فى علوم الكتاب لابن عادل : ٢ / ٢٧١ .
٥. زاد المسير لابن الجوزي : ١ / ١٠٠ - ١٠١ .
٦. سورة البقرة : ٦٧ .
٧. فتح القدير الجامع بين فنى الدراية والرواية من علم التفسير : ١ / ١٢٦ .
٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١ / ٤٤٥ ، وزاد المسير للجوزي : ١ / ١٠٠ - ١٠١ ، والبحر المحيط : ١ / ٤٢٣ .
٩. سورة هود : ٤٠ .
١٠. سورة هود : ٤١ .
١١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١ / ٤٤٥ ، والبحر المحيط : ١ / ٤٢٣ .

١٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١ / ٤٠٤ ، ٤٤٥ ، ٢ / ١٧٠ -
١٧١ . وانظر تنوير المقياس في تفسير ابن عباس ٢ / ١٩٥ ، ٢٠٩ ،
٥ / ٥٠٦ - ٥٠٧ .

١٣. سورة النساء : ١٥٣ .

١٤. المحرر الوجيز لابن عطية : والبحر المحيط : ١ / ٣٧١ ، وزاد
المسير لابن الجوزي : ١ / ٨٣ .

١٥. سورة ص : ٢٦ .

١٦. فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٥٦١ . والوجه الآخر أن يكون قوله (يَوْمَ
الْحِسَابِ) مفعولاً به والمعنى : لهم عذاب شديد بسبب نسيانهم يوم
الحساب ، أي بتركهم العمل لهذا اليوم . وهو على ترتيب الآية
الأصلي.

١٧. سورة محمد : ١٨ .

١٨. سورة الفجر : ٢٣ .

١٩. معاني القرآن للفراء : ٣ / ٦١ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٥ /
١١٦ .

٢٠. سورة سبأ : ٥٢ .

٢١. والوجه الآخر على نظم الآية من غير تقديم وتأخير ، ولكن على
تقدير محذوف تقديره : الخلاص أو النجاة ، والمعنى : فأني لهم
الخلاص إذا جاءتهم النكراء بما كانوا يخبرون به في الدنيا فيكنبون
به وجاءهم العذاب على ذلك . المحرر الوجيز لابن عطية : ٥ /
١١٦ .

٢٢. ولذلك فإن القول بالتقديم والتأخير هو أحد أسباب الخلاف بين المفسرين ؛ ولذا عد ابن جزى الكلبي حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير ، عده أحد وجوه الترجيح عند الخلاف بين المفسرين . انظر : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبي : ٧٢ ، ٧٣ .

٢٣. سورة البقرة : ١٠٢ .

٢٤. إرشاد العقل السليم لأبي السعود : ١ / ١٣٨ ، والنكت والعيون للموردي : ١ / ١٦٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ١ / ٤٩٧ ، وبحر العلوم للسمرقندي : ١ / ١٠٦ ، وجامع البيان للطبري : ٢ / ٤٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢ / ٥٠ ، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام : ١ / ١٤٨ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ١ / ٣٧٢ ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل : ٢ / ٣٣٨ ، وتفسير القرآن العظيم للصنعاني : ١ / ٥٣ .

٢٥. معاني القرآن للفراء : ١ / ٦٤ .

٢٦. قال مقاتل : كان هاروت وماروت مطيعين لله عز وجل . تفسير مقاتل : ١ / ٦٩ .

٢٧. سورة آل عمران : ١٩٤ .

٢٨. سورة الأنبياء : ٧٨ .

٢٩. وذلك أن سحرة اليهود - فيما ذكر - كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ؛ فأكذبهم الله بذلك وأخبر نبيه أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر ، وبرأ سليمان مما

- نخلوه من السحر . فتح القدير للشوكاني : ١ / ١٥٦ ، وجامع البيان للطبري : ٢ / ٤١٩ ، وممن قال بالتقديم والتأخير : الطبري : ٢ / ٤١٩ ، والقرطبي : ٢ / ٥٠ ، وابن عادل ، اللباب في علوم الكتاب : ٢ / ٣٨٨ . والثعلبي ، الكشف والبيان : ١ / ٢٤٥ . ورفضه السمين الحلبي وقال : ولا حاجة إلى القول بأن في الكلام تقدماً وتأخيراً . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١ / ١٩٨ .
- ٣٠ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود : ١ / ٢١٥ .
- ٣١ . سورة البقرة : ٢١٤ .
- ٣٢ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ١ / ٢٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣ / ٣٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٢ / ١٤٩ ، وفتح القدير للشوكاني : ١ / ٢٧٩ .
- ٣٣ . قال العكبري : وفي هذا الكلام إجمال وتفصيله أن أتباع الرسول قالوا : متى نصر الله فقال الرسول : ألا إن نصر الله قريب . التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ١ / ١٧٢ . وذهب مقاتل والثعلبي والسمرقندي إلى أن المقالة الأولى للرسول والمؤمنين ، والثانية لله تعالى . تفسير مقاتل : ١ / ١١٢ ، والكشف والبيان للثعلبي : ٢ / ١٣٥ ، وبحر العلوم للسمرقندي : ١ / ١٦٧ .
- ٣٤ . سورة القصص : ٧٣ .
- ٣٥ . سورة هود : ١٢ .
- ٣٦ . سورة الحجر : ٩٧ .
- ٣٧ . سورة الكهف : ٦ .

٣٨. سورة الشعراء : ٣ .

٣٩. سورة يوسف : ١١٠ .

٤٠. وهو من أساليب العربية ، ومنه قوله تعالى : (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ) سورة المائدة : ١١٥ . والحديث عن المائدة التي طلب الحواريون إنزالها وكانوا مؤمنين ، فدعا عيسى - عليه السلام - ربه فيما حكاه القرآن عنه في قوله تعالى : (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) سورة المائدة : ١١٤ فالضمير في قوله : عليكم - منكم ، يشمل الحواريين ومعهم عيسى - عليه السلام - بدليل قوله : (أنزل علينا) ولم يقل : عليهم ، والكفر مستحيل على الأنبياء - عليهم السلام - فهم جميعاً معصومون من الصغائر فضلاً عن الكبائر . فغلب الجمع على الواحد . انظر : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري : ٧٥ / ٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢٣٨ / ٦ ، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ٢ / ٢٦٢ ، ومن صور استعمال الضمير في القرآن الكريم لراشد جراري : ١٠١ .

٤١. الكشف والبيان للثعلبي : ١٣٥ / ٢ ، وبحر العلوم للسمرقندي : ١ / ١٦٧ .

٤٢. سورة الأعراف : ٢ .

٤٣. وهو اختيار الأنباري كما نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط : ٤ / ٢٦٧ .

٤٤. وفي رفع (كتاب) هنا وفي مثل هذا الموضع أربعة أوجه :

- ١- رفعه على الابتداء . وهو ما ذهب إليه الأخفش . معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٢٩٣ . والبحر المحيط : ٤ / ٢٦٧ .
- ٢- رفعه على الخبرية بإضمار مبتدأ والتقدير : هو ، أو : هذا . وهو قول الكسائي . ووافقه الأنباري . معاني القرآن للكسائي : ١٤١ . ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن : ٢ / ٢٠٩ ، والبحر المحيط : ٤ / ٢٦٧ .

٣- رفعه بحروف الهجاء التي قبله كأنك قلت : الألف واللام والميم والصاد من حروف المقطع كتاب أنزل إليك مجموعاً . وهو قول الفراء . معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٦٨ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٦٧ .

٤- وقد يكون مرتفعاً على التقديم والتأخير ، والتقدير : أنزل كتاب إليك . الكشف والبيان للعلبي : ٤ / ٢١٥ .

٤٥. يعزى تفسير الحرج بالشك إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتبية . وفسره الحسن والزجاج بالضيق . زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ٣ / ١٦٦ ، وتنوير المقياس : ١ / ١٢٤ ، وتفسير مقاتل : ١ / ٣٨٣ .

٤٦. قال الطبري : ولو قيل : معنى ذلك : هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أن تنذر به وتذكر به المؤمنين ، كان قولاً غير

مدفوعة صحته . جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : ١٢ / ٢٩٧ .

٤٧ . واختاره ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٢ / ٣٧٢ ، وأبو حيان ، البحر المحيط : ٤ / ٢٦٧ ، والثعالبي ، الجواهر الحسان : ٢ / ٢ ، والسمرقندي ، بحر العلوم : ١ / ٥١٩ .

٤٨ . انظر : أنوار التنزيل للبيضاوي : ٣ / ٤ ، واللباب لابن عادل : ٩ / ٧ ، وإرشاد العقل السليم : ٣ / ٢١٠ ، وزاد المسير : ٣ / ١٦٦ ، وجامع البيان للطبري : ١٢ / ٢٩٧ . ومعاني القرآن للأخفش : ٢ / ٣٠١ ، والكشاف للزمخشري : ٢ / ٥٢ ، وجامع الأحكام للقرطبي : ٧ / ١٦١ . ولباب التأويل للخازن : ٢ / ٢٠٩ .

٤٩ . معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٣٠١ .

٥٠ . سورة الحجر : ٩٧ .

٥١ . سورة هود : ١٢ .

٥٢ . انظر : زاد المسير : ٣ / ١٦٦ ، وبحر العلوم : ١ / ٥١٩ .

٥٣ . سورة يوسف : ٢٤ .

٥٤ . زاد المسير لابن الجوزي : ٤ / ٢٠٦ .

٥٥ . إرشاد العقل السليم : ٤ / ٢٠٦ ، وزاد المسير : ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

٥٦ . وفيها أقوال أخرى منها : أنه هم بضربها . وقيل : هم بمعنى أراد أن يتزوجها . فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٤ ، وتفسير القرآن للعز : ٢ / ٢٠٦ .

- ١١٥ ، والنكت والعيون : ٢٣ / ٣ - ٢٤ ، و تفسير القرآن العظيم للصنعاني : ٣٢ / ٢ ، وبحر العلوم : ١٨٨ / ٢ .
- ٥٧ . سورة يوسف : ٢٣ .
- ٥٨ . أنوار التنزيل : ٤ / ٣ ، واللباب : ١١ / ٦٠ ، وتفسير سفيان الثوري : ١ / ١٤٠ ، والكشف والبيان : ٥ / ٢١٣ .
- ٥٩ . سورة يوسف : ٥٢ - ٥٣ .
- ٦٠ . البحر المحيط : ٥ / ٢٩٥ ، والمحزر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٢٣٥ ، واللباب : ١١ / ٦١ .
- ٦١ . قال البيضاوي : ولا يجوز أن يجعل (وهم بها) جواب لولا ؛ فإنها في حكم انوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها ، بل الجواب محذوف . أنوار التنزيل : ٣ / ٢٤ . ونكر الطبري أن هذا القول يفسده أنه مخالف لجميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله ، وأن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها . جامع البيان : ١٦ / ٣٩ . وانظر القرطبي : ٩ / ١٦٦ .
- ٦٢ . سورة الرعد : ١١ .
- ٦٣ . وهو جمع معقبه وهي الجماعة تلي الأخرى ، وقرئ : له معاقب . جمع معقب . لابن خالويه : ٧١ ، والمحزر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٠١ . وقيل المراد بالمعقبات : وقيل : المراد بالمعقبات الأعمال ؛ ومعنى من بين يديه ومن خلفه : ما تقدم منها وما تأخر . فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٩١ . وقيل : الحرس الذين يتخذهم الأمراء لحفظهم

من القتل ونحوه وروي مثله عن عكرمة . الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٢ / ٩ ، والنكت والعيون : ٩٩ / ٣ .

٦٤ . صحيح البخاري : ٥٥٥ ، ٣٢٢٣ ، ٧٤٢٩ وغيرها . وصحيح مسلم : ١٤٦٤ ، والموطأ : ٤١٣ .

٦٥ . معاني القرآن للفراء : ٦٠ / ٢ .

٦٦ . وقد روى هذا عن مجاهد والنخعي وابن جريج . انظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ - ٣٦٥ ، وعن علي كرم الله وجهه : لكل عبد حفظة يحفظونه لا يخر عليه حائط أو يتردى في بئر أو تصيبه دابة حتى إذا جاء القدر الذي قدر له خلت عنه الحفظة فأصابه ما شاء الله تعالى أن يصيبه . اللباب لابن عادل : ٧ / ٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٩٢ / ٩ ، والنكت والعيون : ٩٩ / ٣ .

٦٧ . سورة يوسف : ٨٢ .

٦٨ . وهو قول ابن جريج . المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٠٢ .

٦٩ . فتح القدير للشوكاني : ٩١ / ٣ .

٧٠ . فتح القدير للشوكاني : ٩١ / ٣ . وقد روي أيضاً عن قتادة ومجاهد ، تفسير مجاهد : ١ / ٣٢٦ ، وتفسير مقاتل : ٢ / ١٧٠ ، والكشف والبيان : ٥ / ٢٧٤ . وقال ابن عطية عن هذا الوجه : وفيه تحكم في التأويل . المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٢ .

٧١ . معاني القرآن للفراء : ٦٠ / ٢ ،

٧٢ . اللباب في علوم الكتاب لابن عادل : ٧ / ٩ .

٧٣. المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٠٢ .
٧٤. سورة قريش : ٤ .
٧٥. جامع البيان للطبري : ١٦ / ٣٨٦ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٩١ .
وقال ابن عادل : وليس عليه معنى يليق بالآية الكريمة . اللباب في
علوم الكتاب لابن عادل : ٧ / ٩ .
٧٦. البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ - ٣٦٥ ، واللباب في علوم
الكتاب لابن عادل : ٧ / ٩ .
٧٧. سورة غافر : ٢٨ .
٧٨. سورة الشورى : ٤٥ .
٧٩. مغني اللبيب لابن هشام : ٢ / ١٦ .
٨٠. سورة الرعد : ٢٥ - ٢٦ .
٨١. البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٧٩ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ /
١٠٦ .
٨٢. روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ٨ /
٣٤ .
٨٣. سورة الرعد : ٣٨ .
٨٤. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٦٥ - ٦٦ . وواقعه الضحاك . المحرر
الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣١٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٣٢٨
- ٣٢٩ ، وجامع البيان للطبري : ١٦ / ٤٧٦ .
٨٥. سورة الأنعام : ٦٧ .

٨٦. فتح القدير للشوكاني : ١١٥ / ٣ ، والكشف والبيان للثعلبي : ٥ / ٢٩٦ .

٨٧. معاني القرآن للفراء : ٩٥ / ٣ - ٩٦ .

٨٨. سورة النجم : ٨ .

٨٩. معاني القرآن للفراء : ٩٥ / ٣ - ٩٦ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٥ / ٢٥٣ .

٩٠. فتح القدير للشوكاني : ١٣٨ / ٥ - ١٣٩ .

٩١. سورة القمر : ١ .

٩٢. معاني القرآن للفراء : ٩٥ / ٣ - ٩٦ .

٩٣. سورة ق : ١٩ .

٩٤. معاني القرآن للفراء : ٧٨ / ٣ ، ٦٥ / ٢ - ٦٦ .

٩٥. البرهان للزركشي : ٣٣٥ - ٣٣٦ ، وفتح القدير للشوكاني : ٥ / ٩٨ ، معاني القرآن للفراء : ٦٥ / ٢ - ٦٦ ، ٧٨ / ٣ ، والبحر

المحيط : ١٢٣ / ٨ ، والنكت والعيون : ٥ / ٣٤٨ ، وبحر العلوم :

٣ / ٣١٩ ، وجاء في المحرر الوجيز أنها أيضاً قراءة ابن جبير

وطلحة ، أما أبو بكر - رضي الله عنه فقد قرأها كذلك لابنته عائشة

حين قعدت عند رأسه وهو ينازع الموت فقالت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

ففتح عينيه وقال : لا تقول هكذا وقولي : وجاءت سكرة الحق

بالموت . المحرر الوجيز لابن عطية : ٥ / ١٦١ .

٩٦. المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣١٦ .
٩٧. البحر المحيط : ٥ / ٣٨٧ .
٩٨. سورة المؤمنون : ٣٧ .
٩٩. سورة الجاثية : ٢٤ .
١٠٠. أنوار التنزيل : ٤ / ١٥٥ ، وبحر العلوم : ٢ / ٤٨٠ .
١٠١. معاني القرآن للفراء : ٣ / ٤٨ .
١٠٢. فتح القدير للشوكاني : ٥ / ١٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية : ٥ / ٨٧ ، واللباب لابن عادل : ٦ / ٢١٣ ، ١٧ / ٣٦٦ ، وبحر العلوم : ٢ / ٤٨٠ .
١٠٣. سورة النمل : ٢٨ .
١٠٤. معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٣٠١ ، والنكت والعيون : ٤ / ٣٠٦ .
١٠٥. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٩١ .
١٠٦. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٥٧ .
١٠٧. البحر المحيط : ٧ / ٦٨ ، واللباب : ٧ / ١٥١ .
١٠٨. سورة غافر : ٢٨ .
١٠٩. سورة النساء : ٤٢ .
١١٠. البحر المحيط : ٧ / ٤٤١ ، واللباب لابن عادل : ١٧ / ٣٩ ، وفتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٨٣ .
١١١. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٥٥٦ .

- ١١٢ . سورة الروم : ٢٣ .
- ١١٣ . فتح القدير للشوكاني : ٢٨٧ / ٤ ، وبحر العلوم للسمرقندي : ٩ / ٣ ،
واللباب لابن عادل : ٣٩٧ / ١٥ .
- ١١٤ . سورة الأنعام : ٦٠ .
- ١١٥ . سورة يونس : ٦٧ .
- ١١٦ . سورة الإسراء : ١٢ .
- ١١٧ . سورة الفرقان : ٤٧ .
- ١١٨ . سورة النمل : ٨٦ .
- ١١٩ . سورة القصص : ٧٣ .
- ١٢٠ . سورة غافر : ٦١ .
- ١٢١ . سورة النبأ : ١٠ - ١١ .
- ١٢٢ . سورة الرحمن : ٢٢ .
- ١٢٣ . قال ابن عطية راداً القول بالتقديم والتأخير هنا : وهذا ضعيف ؛
وإنما أراد أن يرتب النوم لليل والابتغاء للنهار ، ولفظ الآية لا
يعطي ما أراد . المحرر الوجيز لابن عطية : ٣٣٣ / ٤ ، والبحر
المحيط : ١٦٢ / ٧ .
- ١٢٤ . سورة الروم : ٥٦ .
- ١٢٥ . سورة الرحمن : ٦٨ .
- ١٢٦ . المحرر الوجيز لابن عطية : ٣٤٤ / ٤ .

١٢٧. البحر المحيط لأبي حيان : ١٧٥ / ٧ ، وفتح القدير للشوكاني : ٤ / ٣٠٣ .
١٢٨. سورة المؤمنون : ١٠٠ .
١٢٩. البحر المحيط لأبي حيان : ١٧٥ / ٧ .
١٣٠. روح المعاني للآلوسي : ٦٠ / ٢١ .
١٣١. سورة الإنسان : ٢ .
١٣٢. فتح القدير للشوكاني : ٤٥١ / ٥ .
١٣٣. ونقل عن ابن عباس في تفسير الابتلاء قوله : نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقه . الكشاف للزمخشري : ١٦٧ / ٤ .
١٣٤. وعزي إلى ابن عباس ، إرشاد العقل السليم : ٧٠ / ٩ ، والنكت والعيون : ١٦٣ / ٦ .
١٣٥. معاني القرآن للفراء : ٢١٤ / ٣ . وانظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ١٢٢ ، والبحر المحيط : ٨ / ٣٨٦ ، وأنوار التنزيل : ٥ / ٤٢٥ ، واللباب : ٩ / ٢٠ ، وبحر العلوم : ٣ / ٥٠٣ .
١٣٦. الكشاف للزمخشري : ١٦٧ / ٤ . وقال أبو حيان : ولا حاجة إلى ادعاء التقديم والتأخير والمعنى يصح بخلافه . البحر المحيط : ٨ / ٣٨٦ ، وقال الطبري : وكان بعض أهل العربية يقول : المعنى : جعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه ، فهي مقدمة معناها التأخير ٠٠٠ ولا وجه عندي لما قال يصح . جامع البيان : ٢٤ / ٩١ - ٩٢ .
١٣٧. سورة البقرة : ١٥٠ - ١٥٢ .

١٣٨. الكشف للزمخشري : ١ / ١٠٣ ، وقال ابن عطية : وهذا أحسن الأقوال . المحرر الوجيز لابن عطية : ١ / ٢٢٦ ، وفتح القدير للشوكاني : ١ / ٢٠٥ .
١٣٩. سورة البقرة : ١٤٣ .
١٤٠. جامع البيان للطبري : ٢ / ٢٢ ، والكشاف للزمخشري : ١ / ١٠٣ ، وفتح القدير للشوكاني : ١ / ٢٠٥ .
١٤١. تفسير القرآن للعز : ١ / ١٧٢ ، وبحر العلوم : ١ / ١٣٠ .
١٤٢. معاني القرآن للفراء : ١ / ٩٢ .
١٤٣. قال القرطبي : روي عن علي واختاره الزجاج . الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٧٠ - ١٧١ ، وانظر : تنوير المقياس : ١ / ٢١ ، وزاد المسير : ١ / ١٦٠ ، وتفسير مقاتل : ١ / ٨٧ .
١٤٤. معاني القرآن للأخفش : ١ / ١٥٣ .
١٤٥. الكتاب لسيبويه : ٣ / ١١٦ .
١٤٦. سورة البقرة : ١٩٨ .
١٤٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري : ١ / ١٥١ .
١٤٨. سورة القصص : ٨٢ .
١٤٩. الدر المصون للسمين الحلبي : ٤ / ٢٧ .
١٥٠. قال ابن هشام : وهو - أي التعليل - ظاهر في قوله : (وانكروه كما هداكم) . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري : ١ / ١٥١ .

١٥١. وهو رؤية كما ذكر سيبويه . الكتاب : ١١٦ / ٣ .
١٥٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري : ١ / ١٥١ .
١٥٣. سورة النساء : ٧٣ .
١٥٤. معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٠٨ / ٢ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور : ١٢٠ / ٥ .
١٥٥. سورة النساء : ٧٢ .
١٥٦. معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٠٨ / ٢ ، والمحزر الوجيز لابن عطية : ٧٨ / ٢ .
١٥٧. المحزر الوجيز لابن عطية : ٧٨ / ٢ .
١٥٨. البحر المحيط لأبي حيان : ٣٠٥ / ٣ .
١٥٩. ووجه الشبه أنه لما تمنى أن لو كان معهم وتحسر على فوات فوزه لو حضر معهم كان حاله في تفريطه رفقتهم يشبه حال من لم يكن على اتصال بهم بحيث لا يشهد ما أزمعوا عليه من الخروج للجهاد . التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٢٠ / ٥ ، وانظر : فتح القدير للشوكاني : ٦٣٥ / ١ .
١٦٠. سورة المائدة : ٦٩ .
١٦١. معاني القرآن للفراء : ٣١٢ / ١ .
١٦٢. معاني القرآن للكسائي : ٦٣ ، ومعاني القرآن للفراء : ٣١٢ / ١ . ومعاني القرآن للأخفش : ٢٦٢ / ١ .

١٦٣. إعراب القرآن للنحاس : ٢٣٠ / ٣ ، وفتح القدير للشوكاني : ٢ / ٨١ ، والبحر المحيط : ٥٤١ / ٣ .
١٦٤. فتح القدير للشوكاني : ٨١ / ٢ .
١٦٥. وجعل منها قولهم : هذا جحرٌ ضبٌ خربٌ ، وقولهم : كذبٌ عليكم الحجُّ برفع الحج وإنما معناه بالنصب ثم قال : فقد يجوز أشباه هذا والمعنى على خلافه . معاني القرآن للأخفش : ٢٦٢ / ١ .
١٦٦. معاني القرآن للأخفش : ٢٦٢ / ١ .
١٦٧. فتح القدير للشوكاني : ٨١ / ٢ .
١٦٨. المحرر الوجيز لابن عطية : ٢ / ٢١٩ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري : ١ / ٤٥١ ، وفتح القدير للشوكاني : ٨١ / ٢ ،
١٦٩. الكتاب لسبويه : ١٥٥ / ٢ .
١٧٠. الكتاب لسبويه : ١٥٦ / ٢ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري : ١ / ٤٥١ ، وفتح القدير للشوكاني : ٨١ / ٢ ، ومعاني القرآن للفراء : ٣١١ / ١ .
١٧١. الكتاب لسبويه : ١٥٦ / ٢ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري : ١ / ٤٥١ ، وفتح القدير للشوكاني : ٨١ / ٢ ، ومعاني القرآن للفراء : ٣١١ / ١ .
١٧٢. معاني القرآن للفراء : ٣١١ / ١ .
١٧٣. معاني القرآن للفراء : ٣١١ / ١ .
١٧٤. سورة الأعراف : ١٨٧ .

- ١٧٥ . سورة مريم : ٤٧ .
- ١٧٦ . أساس البلاغة للزمخشري : مادة (ح ف و) : ١٥٣ - ١٥٤ ،
وجمهرة اللغة لابن دريد : ١٧٩ / ٣ .
- ١٧٧ . البحر المحيط : ٤٣٣ / ٤ .
- ١٧٨ . المحرر الوجيز : ٤٨٤ / ٢ .
- ١٧٩ . سورة الفرقان : ٥٩ .
- ١٨٠ . سورة الفرقان : ٢٥ .
- ١٨١ . اللباب في علوم الكتاب لابن عادل : ٣٠ / ١٥ ، والدر المصون
للسمين الحلبي : ٨٠ / ٤ ، والمحرر الوجيز لابن عطية : ٤٨٤ / ٢ -
٤٨٥ .
- ١٨٢ . تفسير مقاتل : ٤٢٧ / ١ ، وقال ابن عطية : قال ابن عباس وقادة
ومجاهد : المعنى : يسألونك عنها كأنك حفي . المحرر الوجيز
لابن عطية : ٤٨٤ / ٢ .
- ١٨٣ . سورة الفرقان : ٥٩ .
- ١٨٤ . اللباب في علوم الكتاب لابن عادل : ٣٠ / ١٥ ، والدر المصون
للسمين الحلبي : ٨٠ / .
- ١٨٥ . سورة الرعد : ٣٠ - ٣١ .
- ١٨٦ . معاني القرآن للفراء : ٦٣ / ٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية : ٣ /
٣١٣ ، وفتح القدير للشوكاني : ١١٠ / ٣ ، والبحر المحيط لأبي

حيان : ٣٨٢ / ٥ ، وجامع البيان للطبري : ٤٤٨ / ١٦ ، وتفسير

القرآن العظيم للصنعاني : ٣٣٧ / ٢ ، وتفسير مقاتل : ١٧٧ / ٢ .

١٨٧ . معاني القرآن للفراء : ٦٣ / ٢ ، وجامع البيان للطبري : ١٦ /

٤٤٨ ، والكشف والبيان للثعلبي : ٢٩٢ / ٥ .

١٨٨ . سورة النحل : ٤٣ - ٤٤ .

١٨٩ . معاني القرآن للفراء : ١٠٠ / ٢ - ١٠١ . والمحزر الوجيز لابن

عطية : ٣٩٥ / ٣ . وفتح القدير للشوكاني : ٢١٧ / ٣ .

١٩٠ . الكشف للزمخشري : ٣٣٢ / ٢ . ومثله قول الشاعر :

زعم العوائل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

فلما حكى عنهم قولهم : هو في غمرة ، وكان ذلك مما يحرك السامع

لأن يسأله : فما قولك في ذلك وما جوابك عنه ؟ أخرج الكلام

مخرجه إذا كان ذلك قد قيل بالفعل ، وصار كأنه قال : أقول :

صدقوا ، أنا كما قالوا . انظر : دلائل الإعجاز لعبد القاهر

الجرجاني : ٢٤٥ - ٢٣٦ ، ومتشابهات أي القرآن الكريم دراسة

نحوية دلالية مقارنة : ٤٠ - ٤١ .

١٩١ . اللباب لابن عادل : ٦٢ / ١٢ .

١٩٢ . البحر المحيط لأبي حيان : ١٤٦ / ٢ ، واللباب : ٥٠٧ / ٣ .

١٩٣ . معاني القرآن للأخفش : ٣٠١ / ٢ .

١٩٤ . وهناك أقوال أخرى منها : أنه متعلق بـ (تعلمون) على أنه مفعول

به والباء زائدة والمعنى : إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر .

وقيل : يتعلق بـ (رجالاً) أي : رجالاً متلبسين بالبينات والزبر .
وقيل : منصوب بتقدير : [أعني] والباء زائدة . فتح القدير
للشوكاني : ٢١٧ / ٣ .

١٩٥ . سورة الأنعام : ١٩ .

١٩٦ . سورة يوسف : ٣ .

١٩٧ . سورة الرعد : ٣٠ .

١٩٨ . سورة الكهف : ٢٩ .

١٩٩ . سورة العنكبوت : ٤٥ .

٢٠٠ . سورة فاطر : ٣١ .

٢٠١ . سورة الشورى : ٧ .

٢٠٢ . سورة الكهف : ١ - ٢ .

٢٠٣ . معاني القرآن للفراء : ١٣٣ / ٢ . وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٥٣ .

٢٠٤ . الكشف للزمخشري : ٣٧٩ / ٢ . وتفسير القرآن للعز : ٢٣٧ / ٢ .

٢٠٥ . معاني القرآن للفراء : ١٣٣ / ٢ .

٢٠٦ . جامع البيان : ٥٩٢ / ١٧ . ولذلك قال مقاتل والثعلبي : أنزله

مستقيماً لينذر . تفسير مقاتل بن سليمان : ٢ / ٢٧٨ ، والكشف

والبيان للثعلبي : ١٤٤ / ٦ .

٢٠٧ . سورة الإسراء : ٢ ، ٣ .

٢٠٨. وقرئ بالرفع وفي إعرابه وجوه أخرى . منها أنه خبر مبتدأ محذوف ، وعلى البذل من فاعل [تتخذوا] ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤٣٧ / ٣ ، ٣٩٩ / ٣ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٤ .

٢٠٩. انظر : تنوير المقياس : ٢ / ٢٣٣ ، وتفسير سفيان الثوري : ١ / ١٦٨ ، وتفسير مقاتل : ٢ / ٢٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٠ / ٢١٣ ، وتفسير القرآن للعز : ٢ / ٢٣٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٩٤ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٤ ، والكشاف للزمخشري : ٢ / ٣٥١ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٣ / ٤٧٥ ، واللباب لابن عادل : ١٢ / ٤١٦ ، ١٣ / ٣٢٥ ، والنكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٨٤ ، وبحر العلوم للسمرقندي : ٢ / ٣٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم للصنعاني : ٢ / ٣٩٨ ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود : ٥ / ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢١٠. سورة آل عمران : ٨٠ .

٢١١. فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٤ ، وتفسير القرآن للعز : ٢ / ٢١١ ، والنكت والعيون : ٣ / ٢٢٧ ، وتفسير مجاهد : ١ / ٣٥٧ ،

٢١٢. سورة النساء : ٦٩ .

٢١٣. سورة طه : ١٢٩ .

٢١٤. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٦٩ ، واللباب لابن عادل : ١٣ / ٤٢١ ، والنكت والعيون للماوردي : ٣ / ٤٣٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٦٨ .

٢١٥. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٦٩ ، واللباب لابن عادل : ١٣ / ٤٢١ .

٢١٦. الكشاف للزمخشري : ٢ / ٤٥١ ، والنكت والعيون للماوردي : ٣ / ٤٣٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٦٨ .

٢١٧. سورة الحج : ١٣ .

٢١٨. معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٤١٣ .

٢١٩. ويضعف قوله امران : الأول : فساد معناه ؛ فإن الكافر لا يعتقد في الأصنام أن ضررها أقرب من نفعها . والثاني : أنه حذف إلهه وهو مخلوف عليه حقه ألا يحذف فلا يقال : والله لأخوك زيد ، فلا يحسن أن تحذف زيدا فتقول : والله لأخوك. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١١٠ ، ومغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٩٢ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٥٧٨ .

٢٢٠. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١١٠ . والبحر المحيط : ٦ / ٣٣٢ .

٢٢١. البحر المحيط : ٦ / ٣٣١ - ٣٣٢ . وأنوار التنزيل : ٤ / ١١٧ - ١١٨ .

٢٢٢. التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٧ / ٢١٦ .

٢٢٣. البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٣٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١١٠ .

٢٢٤. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢١٧ . ومغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١١ / ٢١٩ .

٢٢٥. سورة النمل : ٧٢ .
٢٢٦. وضعف ابن هشام هذا القول بأن زيادة اللام في هذا الموضع في غاية الشذوذ فلا يليق تخريج التنزيل عليه . ومغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٩٢ . إنما تكون إذا كان الفعل فرعاً أو بتقديم المعمول . ولكن قراءة ابن مسعود : يدعو من ضره ، بغير اللام ، تؤيد هذا القول .
٢٢٧. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢١٧ .
٢٢٨. سورة الأعراف : ٤٣ .
٢٢٩. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢١٧ - ٢١٨ .
٢٣٠. سورة الحج : ١٢ .
٢٣١. البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٣٢ .
٢٣٢. وضعفه ابن هشام بأن فيه دعوى خلاف الأصل مرتين : إذ الأصل عدم التوكيد ، والأصل ألا يفص المؤكد من توكيده ولا سيما في التوكيد اللفظي . مغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٩٢ .
٢٣٣. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢١٧ ، وهو أيضاً قول الزجاج وأبي علي الفارسي ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١١٠ ، ومغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٩٢ .
٢٣٤. وضعف بأن (يَدْعُو) مبني للفاعل فلا يناسب أن تقدر الحال الواقعة موقعه اسم مفعول ، بل المناسب أن تقدر : داعياً .
٢٣٥. البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٣٢ .

٢٣٦. مغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٩٢ .
٢٣٧. الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ١٩ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٥٧٨ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١١٠ ، ومعاني القرآن للكسائي : ١٩٨ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٣٥ .
٢٣٨. شرح التسهيل لابن مالك : ١ / ٢٩٩ .
٢٣٩. الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ١٩ .
٢٤٠. سورة النور : ٣٢ - ٣٣ .
٢٤١. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٢ ، وفتح القدير للشوكاني : ٤ / ٣٩ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨ / ٢٢٦ .
٢٤٢. التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨ / ٢٢٦ .
٢٤٣. المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٦ ، وفتح القدير للشوكاني : ٤ / ٣٩ .
٢٤٤. نقله أبو حيان في البحر المحيط : ٦ / ٤١٦ .
٢٤٥. سورة النور : ٣٣ .
٢٤٦. التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨ / ٢٢٦ . وقد ورد في سبب نزولها أن جارية لعبد الله ابن أبي ابن سلول يقال لها مُسَيِّكة وأخرى يقال لها أُمَيْمَةُ فَكَانَ يُكْرَهُهُمَا عَلَى الزَّوْى فَشَكَّنَا نَلَكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَا تُكْرَهُوا قَتْلَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) إِلَى قَوْلِهِ (غَفُورٌ رَحِيمٌ) . صحيح مسلم : كتاب التفسير

(٧٧٣٧) ، وأسباب النزول للواحي : ٢٤٠ ، واللباب : ١٤ /

٣٧٦ ، والبحر المحيط : ٤١٦ / ٦ ، وتفسير مقاتل : ٤١٨ / ٢ .

٢٤٧ . فتح القدير للشوكاني : ٣٩ / ٤

٢٤٨ . فتح القدير للشوكاني : ٣٩ / ٤

٢٤٩ . لسان العرب ، مادة (أ ي م) .

٢٥٠ . سورة الفتح : ٢٥ .

٢٥١ . الكشف للزمخشري : ٤٦٦ / ٣ - ٤٦٧ ، والبحر المحيط لأبي

حيان : ٤١٦ / ٦ .

٢٥٢ . سورة الروم : ٢٤ .

٢٥٣ . فتح القدير للشوكاني : ٢٨٧ / ٤ .

٢٥٤ . أما البصريون فلا يجيزون إعمال [أن] مع الحذف من غير بدل؛

لأنها من عوامل الأفعال وعوامل الأفعال ضعيفة ، ودليل ضعفها أن

من العرب من لا يعملها مظهرة كقراءة الرفع في قوله تعالى : (لمن

أراد أن يتم الرضاعة) . انظر هذه المسألة في الإنصاف في مسائل

الخلاف بين النحويين للأنباري ، المسألة ٧٧ ، والتصريح بمضمون

التوضيح للشيخ خالد الأزهرى : ٢٤٥ / ٢ . والتوهم دراسة في كتاب

سيبويه للدكتور راشد جراري .

٢٥٥ . سورة البقرة : ٨٣ .

٢٥٦ . وهي قراءة أبي بن كعب وابن مسعود . المحرر الوجيز : ١ /

١٧٢ ، والبحر المحيط : ٢٦٢ / ١ .

٢٥٧. سورة الروم : ٢٣ .
٢٥٨. البحر المحيط : ١٦٣ / ٧ .
٢٥٩. فتح القدير للشوكاني : ٢٨٧ / ٤ .
٢٦٠. سورة الزمر : ٦٥ .
٢٦١. الكشف للزمخشري : ، والمحرم الوجيز لابن عطية : ٥٤٠ / ٤ ،
وفتح القدير للشوكاني : ٦١٩ / ٤ .
٢٦٢. التحرير والتنوير : ٥٨ / ٢٤ .
٢٦٣. الكشف للزمخشري : ٣٥٥ / ٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٧ /
٤٢١ ، وفتح القدير للشوكاني : ٦١٩ / ٤ - ٦٢٠ ، والمحرم
الوجيز : ٥٤٠ / ٤ .
٢٦٤. التحرير والتنوير لابن عاشور : ٥٨ / ١٤ .
٢٦٥. البحر المحيط لأبي حيان : ٤٢١ / ٧ .
٢٦٦. تفسير مقاتل بن سليمان : ١٣٨ / ٣ - ١٣٩ ، وفتح القدير
للشوكاني : ٦١٩ / ٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٤٢١ / ٧ .
٢٦٧. سورة يونس : ٨٣ .
٢٦٨. سورة الأعراف : ٨٨ .
٢٦٩. البحر المحيط لأبي حيان : ٤٢١ / ٧ .
٢٧٠. قال ابن مالك : التغليب إنما هو لفظ يعم القبيلين ويجري عليهما
معاً حكم أحدهما ، كقوله تعالى : (قالوا أتعجبين من أمر الله
رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) . شرح التسهيل لابن مالك :

- ٤١١ / ٢ . وانظر : شرح كافية ابن الحاجب للرضي : ١٥١ / ٢ ،
وحاشية الصبان على شرح الأشموني : ١٨٤ / ١ .
- ٢٧١ . سورة النساء : ١٣١ .
- ٢٧٢ . سورة الانشقاق : ١ - ٦ .
- ٢٧٣ . سورة الزمر : ٧٣ .
- ٢٧٤ . سورة الأنبياء : ٩٦ - ٩٧ .
- ٢٧٥ . معاني القرآن للفراء : ٢٥٠ / ٣ .
- ٢٧٦ . معاني القرآن للأخفش : ٥٣٤ / ٢ . وانظر فتح القدير للشوكاني :
٥٣٤ / ٥ والنكت والعيون للماوردي : ٢٣٣ / ٦ .
- ٢٧٧ . وهناك آراء أخرى في جواب إذا في هذا الموضع ، منها ما نسب
إلى الكسائي أنه قوله تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه) .
وغيرها . فتح القدير للشوكاني : ٥٣٤ / ٥ .
- ٢٧٨ . فتح القدير للشوكاني : ٥٣٤ / ٥ . وغلطه كذلك الطبري : جامع
البيان : ٢٤ / ٣١١ - ٣١٢ .
- ٢٧٩ . سورة البروج : ١ - ٤ .
- ٢٨٠ . سورة الشمس : ١ .
- ٢٨١ . سورة الشمس : ٩ .
- ٢٨٢ . معاني القرآن للفراء : ٢٥٣ / ٣ ، ومعاني القرآن للأخفش : ٢ /
٥٣٥ .
- ٢٨٣ . سورة البروج : ١٢ .

٢٨٤. معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٥٣٩ . وفتح القدير للشوكاني : ٥ /

٥٤٣ .

٢٨٥. معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٥٣٥

٢٨٦. وقد نسب الشوكاني إلى أبي حاتم السجستاني وابن الأنباري . فتح

القدير للشوكاني : ٥ / ٥٤٣ .

٢٨٧. فتح القدير للشوكاني : ٥ / ٥٤٣ .

٢٨٨. البخاري : ٢٨٠١ ، الجهاد - ٤٠٩١ ، المغازي .

٢٨٩. البخاري : ٦٦٣٨ ، الأيمان والنذور - مسلم : ٢٣٤٧ ، الزكاة .

٢٩٠. مسلم : ٤٧١٣ ، الجهاد والسير .

٢٩١. الموطأ : ٧٥٦ ، الحج .

٢٩٢. سورة آل عمران : ١٩ .

٢٩٣. معاني القرآن للأخفش : ١ / ١٩٩ ، وفتح القدير للشوكاني : ١ /

٤٢٣ . والمراد بالخلاف الواقع بينهم هو خلافهم في نبوة محمد

صلى الله عليه وسلم ، أو نبوة عيسى عليه السلام ، أو اختلافهم

فيما بينهم حتى قالت اليهود : ليست النصراني على شيء ، وقالت

النصارى : ليست اليهود على شيء . تفسير مقاتل : ١ / ١٦١ ،

والكشف والبيان : ٣ / ٣٥ ، وفتح القدير للشوكاني : ١ / ٤٢٣ .

وفي حنف متعلق [اختلف] ما يدل على احتمال كل هذه المعاني

فيشمل كل اختلاف منهم .

٢٩٤. البحر المحيط لأبي حيان : ٢ / ١٤٦ .

٢٩٥. البحر المحيط لأبي حيان : ١٤٦ / ٢ .
٢٩٦. البحر المحيط لأبي حيان : ١٤٦ / ٢ .
٢٩٧. التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٩٩ / ٣ .
٢٩٨. سورة الرعد : ٢ .
٢٩٩. زاد المسير لابن الجوزي : ٣٠١ / ٤ .
٣٠٠. وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة والجمهور . زاد المسير لابن الجوزي : ٣٠١ / ٤ .
٣٠١. وأنوار التنزيل للبيضاوي : ١٤٥ / ٣ ، ومفاتيح الغيب للرازي : ٢٣٢ / ١٨ .
٣٠٢. الكشف للزمخشري : ٢٧٩ / ٢ . وقال الأنباري : (ترونها) خبر مستأنف ، والمعنى : رفع السموات بلا دعامة تمسكها ، ثم قال : ترونها ، أي : ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم يغنيكم عن إقامة الدلائل عليه . زاد المسير لابن الجوزي : ٣٠١ / ٤ .
٣٠٣. معاني القرآن : ٥٧ / ٢ .
٣٠٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٧٧٢ / ٢ .
٣٠٥. البحر المحيط لأبي حيان : ٣٥٩ / ٥ ، والدر المصون : ٢٢٤ / ٤ .
٣٠٦. مفاتيح الغيب للرازي : ٢٣٢ / ١٨ - ٢٣٣ ، وتفسير مقاتل : ٢ / ١٦٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز للهواري : ٢٩٢ / ٢ .
٣٠٧. أنوار التنزيل للبيضاوي : ١٤٥ / ٣ ، ومفاتيح الغيب للرازي : ١٨ / ٢٣٢ .

٣٠٨. البحر المحيط لأبي حيان : ٣٥٩ / ٥ ، وتنوير المقباس : ٢ / ٢٠٥ .

٣٠٩. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٥٧ ، وجامع البيان للطبري : ١٦ / ٣٢٤ .

٣١٠. سورة الحج : ٦٥ .

٣١١. البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٠ .

٣١٢. أضواء البيان في تفسير القرآن للشنقيطي : ٣ / ٦٧ - ٦٨ .

٣١٣. الدر المصون للسمين الحلبي : ٤ / ٢٢٣ ، والخصائص : ٣ / ١٦٥ . أضواء البيان في تفسير القرآن للشنقيطي : ٣ / ٦٨ .

٣١٤. أضواء البيان للشنقيطي : ٣ / ٦٨ .

٣١٥. جواهر الحسان للثعالبي : ٢ / ٢٦٣ .

٣١٦. سورة لقمان : ١٠ .

٣١٧. فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٨٤ .

٣١٨. الكشف للزمخشري : ٢ / ٢٧٩ . والدر المصون للسمين الحلبي : ٤ / ٢٢٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٥٩ .

٣١٩. المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٢٩١ .

٣٢٠. جامع البيان للطبري : ١٦ / ٣٢٤ ، ومفاتيح الغيب للرازي : ١٨ / ٢٣٢ - ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٩ / ٢٧٩ ، ١٤ / ١٣٥ .

٣٢١. سورة النحل : ٥١ .

٣٢٢. البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٨٥ ، واللباب : ١٢ / ٧٧ .

فكر وإبداع

٣٢٣. الكشف للزمخشري : ٢ / ٣٣١ - ٣٣٢ ، واللباب : ٧٧ / ٧٧ ، ٧٨ .

٣٢٤. المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٩٩ .

٣٢٥. المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٩٩ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٢٢ ، واللباب : ١٢ / ٧٧ .

٣٢٦. سورة الإسراء : ٢ ، ٣ .

٣٢٧. سورة النحل : ١٠٦ .

٣٢٨. مما قيل في إعرابها :

• [من] في قوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ) وقوله : (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَنَرًا) صار لهما خبر واحد هو قوله : (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ) .

• وقال آخرون : هما جزآن اجتماعا انعقد أحدهما بالآخر فجوابهما واحد هو قوله : (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ) . كقولك : من يأتنا فمن يحسن نكرمه .

• وقيل : جواب الأول محذوف يدل عليه جواب الثاني ، فهي شرطية .

• وقيل : هي موصولة مبتدأ خبرها محذوف دل عليه ما بعده .

• وقيل : هي بدل من (الذين) في قوله تعالى قبلها : (إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) سورة النحل : ١٠٥ .

- وقيل : بدل من (أولئك) في الآية السابقة .
- وقيل : بدل من (الكاذبون) فيها أيضاً .
- وقيل : منصوب على النّم . الكشف للزمخشري : ٢ / ٣٤٥ ،
والبحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٥٢٠ - ٥٢١ .
- ٣٢٩ . التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٠٧ .
- ٣٣٠ . أسباب النزول للواحدي النيسابوري : ٢٠٩ . وفتح القدير للشوكاني
: ٣ / ٢٦١ ، والكشاف : ٢ / ٣٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ /
١٨٠ .
- ٣٣١ . سورة المجادلة : ٣ - ٤ .
- ٣٣٢ . معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٤٩٦ . والجامع لأحكام القرآن
للقرطبي : ١٧ / ١٨٣ . وروح المعاني للألوسي : ٢٨ / ١٠ .
- ٣٣٣ . معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٣٩ . ومفاتيح الغيب للرازي : ٢٩ /
٢٥٦ .
- ٣٣٤ . الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي : ٩٩ .
- ٣٣٥ . سورة الأعراف : ٤٣ .
- ٣٣٦ . سورة الصافات : ٢٣ .
- ٣٣٧ . سورة هود : ٣٦ .
- ٣٣٨ . سورة الزلزلة : ٥ .
- ٣٣٩ . مفاتيح الغيب للرازي : ٢٩ / ٢٥٦ . ومجمع البيان للطبرسي :
٧ / ٢٨ .

٣٤٠. سورة مريم : ٨٠ .
٣٤١. الكشف للزمخشري : ٤ / ٧١ ، وجامع البيان للطبري : ٨ / ٢٨)
الحلي (والبحر المحيط لأبي حيان : ٨ / ٢٣٢ .
٣٤٢. معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٣٩ .
٣٤٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧ / ١٨٢ ، ومفاتيح الغيب
للرازي : ٢٩ / ٢٥٦ .
٣٤٤. المحرر الوجيز لابن عطية : ٥ / ٢٧٤ .
٣٤٥. البحر المحيط لأبي حيان : ٨ / ٢٣٣ .
٣٤٦. سورة الأعراف : ٢ .
٣٤٧. سورة الكهف : ١ - ٢ .
٣٤٨. النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٨٤ ، والبحر المحيط : ٦ / ٩٤ ،
وتفسير القرآن العظيم للصنعاني : ٢ / ٣٩٨ ، وبحر العلوم
للسمرقندي : ٢ / ٣٣٤ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٣ / ٤٧٥ ،
واللباب لابن عادل : ١٢ / ٤١٦ ، وإرشاد العقل السليم لأبي
السعود : ٥ / ٢٠٢ - ٢٠٣ ، وجامع البيان للطبري : ١٧ / ٥٩٢ ،
وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام : ٢ / ٢٣٧ ،
٣٤٩. سورة طه : ١٢٩ .
٣٥٠. النكت والعيون : ٣ / ٤٣٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٦٨ ، واللباب :
١٣ / ٤٢١ .
٣٥١. سورة النساء : ٢٢ .

٣٥٢. البحر المحيط : ٢١٧ / ٣ .
٣٥٣. سورة الأنفال : ١ .
٣٥٤. بحر العلوم للسمرقندي : ٣ / ٢ .
٣٥٥. سورة إبراهيم : ١ ، ٢ .
٣٥٦. اللباب لابن عادل : ١١ / ٣٣٢ .
٣٥٧. سورة الأعراف : ٢ .
٣٥٨. سورة النحل : ٤٣ - ٤٤ .
٣٥٩. سورة المجادلة : ٣ - ٤ .
٣٦٠. سورة البقرة : ٢١٤ .
٣٦١. سورة الرعد : ٢٥ - ٢٦ .
٣٦٢. المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٠٢ .
٣٦٣. سورة الرعد : ١١ .
٣٦٤. فتح القدير للشوكاني : ٩٨ / ٥ ، معاني القرآن للفراء : ٦٥ / ٢ -
٦٦ ، ٧٨ / ٣ ، والمحرر الوجيز لابن عطية : ١٦١ / ٥ .
٣٦٥. سورة ق : ١٩ .
٣٦٦. فتح القدير للشوكاني : ١٢ / ٥ ، والمحرر الوجيز لابن عطية : ٥ /
٨٧ .
٣٦٧. سورة المؤمنون : ٣٧ .
٣٦٨. سورة الأعراف : ١٨٧ .

٣٦٩. معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢١٧ .
٣٧٠. سورة الحج : ١٣ .
٣٧١. الكشف للزمخشري : ٢ / ٢٧٩ . والدر المصون للسمين الحلبي :
٤ / ٢٢٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٥٩ .
٣٧٢. سورة الرعد : ٢ .
٣٧٣. في اللسانيات المعاصرة للدكتور سعد مصلوح : ٢١٠ .
٣٧٤. في اللسانيات المعاصرة للدكتور سعد مصلوح : ٢٢٦ .
٣٧٥. سورة البقرة : ١٥٠ - ١٥٢ .
٣٧٦. فتح القدير للشوكاني : ١ / ٢٠٥ .
٣٧٧. سورة البقرة : ١٤٣ .
٣٧٨. جامع البيان للطبري : ٢ / ٢٢ ، والكشاف للزمخشري : ١ / ١٠٣ .
، وفتح القدير للشوكاني : ١ / ٢٠٥ .
٣٧٩. سورة النور : ٣٢ - ٣٣ .
٣٨٠. فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٣٩ .
٣٨١. سورة الانشقاق : ١ - ٦ .
٣٨٢. معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٥٣٤ . وانظر فتح القدير للشوكاني :
٥ / ٥٣٤ .
٣٨٣. فتح القدير للشوكاني : ٥ / ٥٣٤ .
٣٨٤. سورة البروج : ١ - ٤ .

٣٨٥ . سورة البروج : ١٢ .

٣٨٦ . معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٥٣٩ . وفتح القدير للشوكاني : ٥ / ٥٤٣ .

مراجع البحث

- ١ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٢ . أساس البلاغة ، للزمخشري . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م .
- ٣ . الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبد السلام ، دار الحديث بالقاهرة .
- ٤ . الأشباه والنظائر النحوية ، للسيوطي . حققه طه عبد الرؤوف سعد . مكتبة الكليات الأزهرية . ١٩٧٥ م .
- ٥ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد أمين الشنقيطي . مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ط ١٩٩٥ م .
- ٦ . الإغفال ، لأبي علي الفارسي . تحقيق د. عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم . منشورات المجمع الثقافي . أبو ظبي . الإمارات العربية المتحدة .
- ٧ . الإكسير في علم التفسير ، لسليمان الصرصري ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
- ٨ . الأمالي النحوية ، لابن الحاجب . تحقيق الدكتور عدنان صالح مصطفى ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، قطر ، الدوحة ، ط١ ، ١٩٨٦ م .

٩. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين ، للأنباري . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية . لبنان .
١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي . دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
١١. بحر العلوم ، للسمرقندي . تحقيق د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
١٢. البحر المحيط ، لأبي حيان . تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
١٣. البرهان في علوم القرآن ، للزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٧ م .
١٤. التبيان في إعراب القرآن للعكبري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م .
١٥. التحرير والتنوير ، لابن عاشور . دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ط ١٩٩٧ م .
١٦. التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي الكلبي ، تحقيق د. حسن محمود هندأوي ود. راشد أحمد جراري ، دار الهاني للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
١٧. التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد الأزهرى . دار الفكر .
١٨. التغليب في لغة العرب . للدكتور راشد أحمد جراري ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .

١٩. تفسير ابن جزى الكلبي . أشرف عليه لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
٢٠. تفسير سفيان الثوري . صححه ورتبه وعلق عليه لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣ م .
٢١. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، للرازي . مكتبة عبد الرحمن محمد بالقاهرة ، ط١ .
٢٢. تفسير كتاب الله العزيز ، لابن محكم الهواري . حققه وعلق عليه بالحاج بن سعيد شريفي ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٠ م .
٢٣. تفسير القرآن ، لمظفر الدين السمعاني . تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس غنيم ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ١٩٩٧ م .
٢٤. تفسير القرآن ، لعز الدين بن عبد السلام . قدم له وحققه وعلق عليه د. عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهيبي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٦ م ، بيروت لبنان .
٢٥. تفسير القرآن العظيم للصنعاني . تحقيق د. مصطفى سلم محمد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، ط١ ، ١٩٨٩ م .
٢٦. تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، كتب هوامشه وضبطه حسين بن إبراهيم زهران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦ م .
٢٧. تفسير مجاهد . قدم له وحققه وعلق حواشيه عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، المنشورات العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٨. تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٣ .
٢٩. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . للفيروزآبادي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .
٣٠. الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي . تحقيق هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية ، ط ٣ ، ٢٠٠٣ م .
٣١. جامع البيان في تفسير القرآن ، لابن جرير الطبري . ط ٢ ، مصطفى البياي الحلبي بمصر ، ١٩٥٤ م .
٣٢. جامع البيان في تفسير القرآن ، لابن جرير الطبري . تحقيق أحمد محمد شكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ .
٣٣. جمهرة اللغة ، لابن دريد . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة (من غير تاريخ) .
٣٤. جواهر الحسان في تفسير القرآن ، للثعالبي . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
٣٥. الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي . تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
٣٦. حاشية الصبان على شرح الأشموني ، مع شرح الأشموني ، عيسى الحلبي، ١٣٦٦ هـ .
٣٧. حاشية يس على شرح التصريح ، بحواشي التصريح ، دار الفكر .
٣٨. الخصائص ، لابن جني . تحقيق محمد علي النجار . المكتبة العلمية .

٣٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي . تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ورفاقه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١٩٩٣ م .

٤٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، محمد أمين دمج ، بيروت .

٤١. دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة . ودار المدني بجدة . ط ٣ ، ١٩٩٢ م .

٤٢. روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٤٣. زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت . ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ .

٤٤. شرح ألفية ابن مالك ، للأشموني . مع حاشية الصبان ، عيسى الحلبي ، ١٣٦٦ هـ .

٤٥. شرح التسهيل ، لابن مالك . تحقيق د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون . هجر . القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

٤٦. شرح كافية ابن الحاجب ، للرضي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

٤٧. شرح المفصل ، لابن يعيش . مكتبة المتنبّي . القاهرة .

٤٨. صحيح البخاري (بحاشية السندي) . دار إحياء الكتب العربية .

٤٩. صحيح مسلم . تحقيق وتخريج أحمد زهوية وأحمد عناية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٥٠. الصاحبى لابن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة الحلبي ، القاهرة، ١٩٧٧ م .

٥١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، للقمي النيسابوري . تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٩٦٨ م .

٥٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٥٣. فهم القرآن للحارث المحاسبي ، ط الدار البيضاء ، ٢٠٠٣ م

٥٤. في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات وثقافات ، للدكتور سعد مصلوح ، عالم الكتب ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، القاهرة .

٥٥. الكتاب ، لسيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة . ط ٣ ، ١٩٨٨ م .

٥٦. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري . دار المعرفة . بيروت . لبنان .

٥٧. الكشف والبيان ، للثعلبي . دراسة وتحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان . ٢٠٠٢ م .

٥٨. لباب التأويل في معاني التنزيل ، للخازن . دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م .

٥٩. اللباب في علوم الكتاب ، لابن عادل . تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨١ م .

٦٠. لسان العرب ، لابن منظور . دار صادر ، بيروت ، لبنان .
٦١. متشابهات أي القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية مقارنة ، للدكتور راشد أحمد جراري . ط٢ ، الكويت ، ٢٠٠٦ م .
٦٢. مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي الحسن الطبرسي . دار الفكر ، ط٢ ، ١٣٧٥ هـ .
٦٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية . تحقيق عبد السلام عبد الشافي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
٦٤. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويه . مكتبة المتنبي . القاهرة .
٦٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للنسفي . دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .
٦٦. مسائل نحوية بين معاني الزجاج وإغفال الفارسي ، للدكتور راشد جراري . مجلة رسالة المشرق ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة . ع : ٢ ، ٣ ، ٢٠٠٥ م .
٦٧. معالم التنزيل ، للبغوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣ م .
٦٨. معاني القرآن ، للأخفش . حققه د. فائز فارس . دار البشير . ١٩٨١ م .
٦٩. معاني القرآن ، للكسائي . أعاد بناءه وقدم له د. عيسى شحاته عيسى . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع . ١٩٩٨ م

٧٠. معاني القرآن ، للفراء . تحقيق ومراجعة محمد علي النجار ، دار السرور .
٧١. معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج . تحقيق عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٨ م .
٧٢. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام . دار إحياء الكتب العربية .
٧٣. المقتضب ، للمبرد . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث العربي . القاهرة . ١٩٨٦ م .
٧٤. من صور استعمال الضمير في القرآن الكريم ، للدكتور راشد أحمد جراري . دار الهاني للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . ٢٠٠١ م .
٧٥. الموطأ للإمام مالك بن أنس ، دار الشروق .
٧٦. النكت والعيون ، للماوردي . تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٧٧. همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي . مطبعة دار السعادة ، ١٣٢٧ هـ .
٧٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للواحدي . تحقيق صفوت عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ م .

